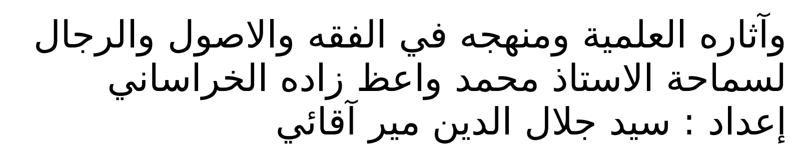
حياة الامام البروجردي



وآثاره العلمية ومنهجه في الفقه والاصول والرجال
لسماحة الاستاذ محمد واعظ زاده الخراساني
إعداد : سيد جلال الدين مير آقائي

http://www.taghrib.org/arabic/nashat/elmia/markaz/nashatat/elmia/matboat/brojerdi/index.htm

المحتويات

الفصل الرابع:

الخاتمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ[2]ـ

ـ[3]ـ

ترتيب أسانيد كتاب الكافي للشيخ الكليني

حياة الإمام البروجردي

حياة الإمام البروجردي

وآثاره العلمية واتّجاهه في الفقه والحديث والرجال

لسماحة الأستاذ الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

إعداد: سيد جلال الدين مير آقائي

_[4]_

إسم الكتاب: حياة الإمام البروجردي

الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

إعداد: سيد جلال الدين مير آقائي

تنضيد الحروف والإخراج الفني: علي الكتبي ـ رغدان الإمارة

تصحيح: سيد علي الهاشمي

تاريخ الطبع: 1421 هـ ق ـ 1379 هـ ش ـ الطبعة الأولى

عدد المطبوع: 1000 نسخة

السعر: 8000 ريال

ISBN: 964 - 350 - 478 - 6

التوزيع: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران ـ ص. ب 1136 - 13185

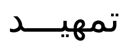
رقم الهاتف: 8153263 ـ 8848975 0098 ـ رقم الفاكس: 8848974 0098

المحتويات

المحتويات

الفصل الرابع:

الخاتمة:


تمهيـــد

ـ[10]ـ

ـ[11]ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الهداة المهديين وأصحابه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

يعتبر آية الله العظمى الإمام السيد حسين الطباطبائي البروجردي أحد كبار علماء الشيعة في المنتصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

تصدّى المرجعية الدينية العليا والزعامة العلمية للطائفة الإماميّة بعد أن هاجر من مسقط رأسه «بروجرد» إلى مدينة «قم» بطلب من مدرسي وعلماء وأساتذة الحوزة العلمية، مهتمّـاً بتحكيم أركان العلم فيها ونيلها إلى ذروتها وسيرهامدارج الكمال.

فحضيت مدينة «قم» بنشاطاته شهرة واسعة بين المراكز العلمية والدينية في العالم الإسلامي وازدهر العلم في ربوعها وتربّى فيها العلماء والمجتهدون وتخرّج منها كثير من الفقهاء والفلاسفة والمفكرين الإسلاميين في شتى مجالات العلم، منهم قائد الثورة الإسلامية ومفجرها الإمام الخميني «رضي الله عنه».

وكان الإمام البروجردي إلى جانب سائر صفاته النبيلة وملكاته النفسانية الجليلة ممتازاً بسعة علمية واضطلاع في شتى مجالات الفقه والأصول والحديث والرجال واختلاف آراء العلماء والمجتهدين وأئمة المذاهب الإسلامية.

ـ[12]ـ

ومن معالم شخصيته البارعة، أنّه كان مهتّماً بأمر الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب. ولعلّه كان أوّل من عنى بتدريس الفقه المقارن وطرح آراء أئمة المذاهب ضمن دروسه المسمّاة بـ «الدرس الخارج» وقام ببث هذه الفكرة والأسلوب في الأوساط العلمية الشيعية في إيران، واهتم بتنفيذها من خلال العلاقات التي أقامها مع فقهاء السنّة وفي مقدمتهم شيوخ الأزهر الشريف، ومن خلال دعمه للحركة التقريبية التي قام بها علماء الأزهر مع جمع من علماء الشيعة الإمامية والزيدية المتجسّدة في تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة.

تصدير

ومن أبرز تلامذته الذي انتهل العلوم والمعارف الإسلامية من منهله وروّى من ينبوع علمه هو الأستاذ العلاّمة محمد واعظ زاده الخراساني الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية حالياً والذي حضر في حلقات دروسه في الفقه والأصول مدّة عقد من الزمن. فكان من تلامذته النشطين. ولما توسّم فيه الإمام الخير والنبوغ والاستعداد الكامل للنّيل إلى مدارج الكمال. شاركه في حلقته الحديثية والرجالية الخاصة التي كانت تقام في بيته وتحت إشرافه بمشاركة عدد من أصحابه المقربين له. فعمل الأستاذ تحت إشرافه مباشرة لإخراج روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام من مصادرها المعروفة وترتيبها ونظمها ترتيباً رائعاً ونظماً جديداً، وذلك بالمقارنة مع الأحاديث المأثورة عن طرق صحابة الرسول والمنقولة في أصول وجوامع إخواننا أهل السنّة.

فكانت هذه الحلقات والدروس حافلة بالخير والعطاء الكثير لجميع المشاركين خاصة للأستاذ العلاّمة واعظ زاده الخراساني في انعقاد النواة الأصلية لأفكاره التقريبية، مما سبّب مواصلته للنشاطات التقريبية في دراساته ومحاضراته فيما بعد.

فقام بزيارات عديدة للبلدان الإسلامية والتقى علماءها ومفكريها لبثّ فكرة التقريب والوحدة الإسلامية.

وانطلاقاً من هذه المكانة العلمية الرفيعة والتجارب التقريبية الثمينة والإخلاص في الأعمال والنشاطات، اختاره سماحة آية الله الإمام الخامنئي قائد الثورة

الإسلامية أميناً عاماً للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المركز العلمي والديني والثقافي الذي أسسه سماحته ليكون نقطة التقاء لأئمّة المذاهب في مواصلة منهج التقريب والوحدة والأخوة الإسلامية.

والكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم هو ما صدّر به الأستاذ الموسوعة الرجالية لآية الله العظمى الإمام البروجردي والذي نشره لأوّل مرة «مجمع البحوث الإسلامية» التابع للآستانة الرضوية المقدسة عام 1414 هـ / 1993م.

وقد شرح الأستاذ في طياته حياة الإمام البروجردي وآراءه في التقريب بين المذاهب الإسلامية ومنهجه في الفقه والأصول والحديث والرجال.

وبما أن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية اهتم بإقامة ملتقىً علميٍّ لتخليد ذكرى الإمام البروجردي والمغفور له المصلح الكبير الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر الشريف الأسبق (بمناسبة مرور أربعين عاماً لرحيل الإمام البروجردي) قمنا بتجديد طبعه بعد مراجعة الأستاذ واعظ زاده وإضافاته وألحقنا به مقالة أخرى للأستاذ بإسم «الإمام البروجردي والتقريب بين المذاهب الإسلامية».

أملُنا أن يكون عملنا هذا خدمة علمية لجميع الباحثين في الحوزات العلمية والسائرين في نهج التقريب وخطوة عملية من قبل تلميذ وفيّ في تعريف أستاذه الكبير، رائد الوحدة والأخوّة والتقريب في القرن الرابع عشر الهجري. فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

والســلام

سيّد جلال الدين مير آقايي

مساعد الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

للشؤون الدولية

ـ[14]ـ

ـ[15]ـ

المقدمــة

المقدمـــة

ـ[16]ـ

ـ[17]ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين.

إنّ علاقتي بالأستاذ الجليل والمرجع الكبير فقيد الإسلام آية الله الطباطبائي البروجردي ـ رضوان الله تعالى عليه ـ علاقة عريقة، بل حتى وراثية، فقد كان والدي المغفور له الخطيب البارع والمحدث الخبير الشيخ مهدي الواعظ الخراساني رحمه الله يحدثني عن شخصية هذا الرجل العظيم منذ أن كنت يافعاً، وكان اسمه يطرق سمعي حتى قبل رحلته إلى مدينة قم المقدسة إلى أن حانت سنة 1364 هـ ق الموافق سنة 1944م حيث تشرف السيّد الأستاذ بزيارة مدينة مشهد زائراً حرم الإمام الرضا عليه السلام فقمت بزيارته واحتفظ بذكريات عنه في تلك الفترة وكذلك أيام إقامتي في بلدة قم، سأشير إليها خلال هذه المقدمة.

لقد تحدثت عنه بعد وفاته بضع ليال في مجلس تأبين أقامه لفيف

ـ[18]ـ

من الطلاب الجامعيين وطلاب العلوم الدينية في مشهد، وكان يدور في خلدي دائماً أن أدوّن تلك المحاضرات، حتى بدأت قبل سنين، بيد أني لم أوفّق لإكماله، والآن حيث أحظى بتعريف أهم نتاج علمي له، أعني موسوعته ومدرسته الرجالية، أرى لزاماً عليَّ أن أكتب عن حياته وشخصيته بشكل مركّز لأطلع الباحثين الكرام عليها، وهي تتصدر هذا

النتاج القيم أي (مرتب أسانيد الكافي) الذي هو باكورة نتاجاته في مجال علم الرجال، ويشكل الجميع حلقات سلسلة رجالية أو موسوعة رجالية.

أقول بشكل قاطع: إنّ المرحوم آية الله البروجردي كان من المراجع المعدودين للطائفة الإمامية، وأحد العلماء البارزين الكبار الذين قلّ أمثالهم بين العلماء، وكان ممن جمع في شخصيته العلم والعمل، والفكر والإبداع، والدعوة إلى الإصلاح كما أنّه تميز باهتمامه بشؤون العالم الإسلامي خارج نطاق مذهبه، وقد أحدث في مجال الفقه والحديث وعلم الرجال عند الشيعة الإمامية تطوراً ملحوظاً وتُلحظ بصمات التطور كذلك في مجال التبليغ والإعلام، وتنظيم الحوزات العلمية، بيد أنه لم يلتفت إلى ذلك إلاّ بعض تلامذته المبرَّزين، ولم يطّلع عليه الآخرون إلاّ بصورة إجمالية.

إنّ اتّصالي الخاص بهذا الأستاذ الكبير، خلال إقامتي التي استغرقت إحدى عشرة سنة في قم حيث كنت ـ إضافة إلى حضوري المتواصل في دروسه الفقهية والأصولية العامة ـ أحضر جلساته الخاصة بالحديث التي كانت تعقد في داره من أجل تأليف الكتاب الكبير «جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة» خلال ما يقارب سبع سنين،

ـ[19]ـ

وكنت أسمع منه كثيراً من المواضيع التي لم يطرحها في حلقات الدرس العامة بشكل صريح، إن ذلك الاتصال بدوره أفضى إلى أن أسجّل ما بقي بخاطري في مقدمة هذا الكتاب بشكل موجز. وبغض النظر عن أداء حق ذلك الرجل العظيم بوصفه أستاذي فإنّي أشعر بنوع من الواجب وأرى تلك الذكريات دَيناً في ذمّتي لابدّ من إيفائه.

لاسيما ونحن نعيش في هذا العصر الزاهر للثورة الإسلامية التي فجّرها أحد رفاقه وأصحابه الملازمين له، استلهاماً من أفكاره الرفيعة أعني الإمام المخلّد ذكره مدى الدهر، سماحة آية الله العظمى الخميني عطّر الله مرقده، ومن المؤكّد ـ كما سنرى في هذه السطور ـ أنّ لأفكار وآراء ذلك الأستاذ الكبير أثراً ملحوظاً على بعض أبعاد وزوايا هذه الثورة المباركة سواء عن طريق الإمام الخميني مفجر الثورة، أو عن طريق طلابهما والمتربّين في مدرستهما ممن كان لهم دور مشهود في نجاح الثورة وتوسيع رقعتها.

ولا ينكر هذا التأثير على رجال الثورة في مجال تأكيدهم على الوحدة الإسلامية، وأهتمامهم بتأليف الأمة وتقريب المذاهب والشعور بالمسؤولية أمام المسلمين عامة.

إذن أستهلُّ كلامي بالحديث عن حياته حسب العناوين التي ستأتي تباعاً، ومن الجدير ذكره أن معتمدي في الحديث عن السيّد الأستاذ فيما يخص

أسرته ونسبه والسلالة الطباطبائية في بلدة بروجرد، ماذكره هو في رسالته التي ألّفها في ترجمة جده السيّد محمد الطباطبائي حفظاً لشجرته وأسرته استناداً إلى نسختين من شجرتهم

كانتا عند بني عمومته في بروجرد وشجرة عمّه العلاّمة بحر العلوم، وإلى ما ذكره عم والده في أول كتاب «المواهب السنية» وما ذكره المحدث النوري في الفيض القدسي، وإلى ما يذكره والده وكان حافظاً لأنساب قومه ومرجعاً لمشيخة أسرته، وغير ذلك من المصادر التي ذكرها في مطاوي تلك الرسالة ومن جملتها ما وقف عليه في كتب ورسائل جده السيّد محمد(1).

وأما فيما يخصّ حياته الشخصية فاستنادي إلى ما كتبه جماعة في ترجمته معتمدين على ما شاهدوه أو سمعوه منه ومن غيره من أكابر الأسرة، ومن هؤلاء السيّد إسماعيل العلوي الطباطبائي من بني أعمامه وصهره السيّد العلويوغيرهما من أبناء الأسرة وأخيراً ما أبداه شيخ طائفتهم آية الله السلطاني في ما نشر منه في مجلة «الحوزة». ومن غير الأسرة الكاتب المتتبع الشيخ علي الدواني وآخرون(2). هذا مضافاً

1- قال رحمه الله في أول الرسالة: «إنّ هذه عُجالة في ترجمة جدي الخامس، محمد بن عبد الكريم قدس الله سرّه، كتبتها تأدية لبعض حقوقه، وحفظاً لشجرة نسبنا من الضياع، ونظماً لما تشعب منه البيوت الرفيعة بالنجف وبروجرد وغيرهما، ورتبتها في فصول وهذه هي عناوين الفصول:

الفصل الأول في نسبه من جهة آبائه، فذكرهم مشيراً إلى ما وقع فيه الخلط والاشتباه لبعض المترجمين.

الفصل الثاني في بيان نسبه من جهة أمه، مشيرا أيضا إلى ما وقع فيه الخلط.

الفصل الثالث في حالاته ومقاماته وتاريخ حياته.

الفصل الرابع في ذكر أعقابه.

2- وكلها مطبوعة. وجدير بالذكر أنّ ما كتبه السيّد إسماعيل ـ وكان مطلعاً على احوال الأسرة وسأل غيره من المطلعين ـ قد نظر فيه السيّد الأستاذ في آخر حياته وأصلح منه ما رأى إصلاحه، وقد طُبع على نفقة ابنه المرحوم السيّد محمد حسن الطباطبائي مع رسالة والده طبعاً على الحجر وفيه مشجرات عن الأسرة.

ـ[21]ـ

إلى ما شاهدته أو سمعته منه. فما أقوم به الآن هو إيراد خلاصة عن تلك المصادر مضيفاً إليه مذكراتي الخاصة وأما ما يتعلق بمدرسته العلمية في الفقه والرجال والحديث وما إلى ذلك فالحديث عنها متوقٌ على ما أخذته عنه مباشرة، مضيفاً إليها انطباعاتي واستنباطاتي الشخصية التي تنشر لأول مرة، ومما كتبه هو في مقدمة رجاله الخاصة بتريب أسانيد كتاب الكافي.

ـ[22]ـ

ـ[23]ـ

الفصل الأوّل: حياته ونشأتـه

الفصل الأول:

حياتـه ونشأتـه

ـ[24]ـ

ـ[25]ـ

نسبه وسلالته:

هو السيّد حسين بن السيّد علي1، بن السيّد أحمد2، بن السيّد علي النقي 3، بن السيّد جواد4، بن السيّد مرتضى5، بن السيّد محمد الطباطبائي6، بن السيّد عبد الكريم7، بن السيّد مراد8، بن شاه أسد الله9، بن السيّد

جلال الدين الأمير10، بن الحسن11، بن مجد الدين12، بن قوام الدين 13، بن إسماعيل14، بن عباد15، بن أبي المكارم16، بن عباد17، بن أبي المجد18، بن عباد19، بن حمزة20، بن طاهر21، بن علي22، بن محمد 23، بن أحمد24، بن محمد25، بن أحمد26، بن إبراهيم، الملقّب بطباطبا 27، بن إسماعيل الديباج28، بن إبراهيم الغمر29، بن الحسن المثنى30، بن الإمام الحسن المجتبى، بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ثم إنّ إبراهيم الغمر أمه فاطمة بنت الإمام الحسين الشهيد بن علي عليهما السلام.

فهذه السلالة الشريفة المنقوشة على لوح قبره نصاً، تخبرنا أن نسبه أباً وأماً ينتهي إلى سبطي الرحمة الحسن والحسين عليهما السلام

في ثلاثين جداً ولهذا يُعرِّف جدهم السيّد محمد في رسائله نفسَه بالحسني الحسيني(1).

ويصل نسبه إلى إبراهيم طباطبا، الجد الأعلى لجميع فروع السادة الطباطبائيين، في ستة وعشرين جداً، وإلى السيّد محمد الطباطبائي الجدّ الأعلى للسادة فرع بروجرد، في خمسة آباء، وأنّ السيّد محمد هذا كما صرح به الأستاذ الإمام في أوّل الرسالة، هو جده الخامس، وهناك أخطاء وقعت في بعض المصادر في عدّ أجداده.

السادة الطباطبائيون

ينتشر أبناء هذه السلالة الجليلة العظيمة في إيران والعراق وسائر الأقاليم الإسلامية. ويرجعون ـ كما قلنا ـ إلى إبراهيم بن إسماعيل الديباج الملقب بطباطبا. ذكر علماء النسب أن هذا اللقب يرجع إلى لُكنة كانت في لسانه، حيث سُئل في أحد الأعياد، وهو طفل: هل تريد قميصاً أو قباء؟ فقال: طباطبا، أي قباقبا، إذ لم يستطع أن يلفظ القاف، وثمة

1- قال الأستاذ في رسالته ص3: إنّ ما في خاتمة المستدرك من إسقاط (أحمد بن طباطبا) وجعل (جلال الدين وأمير والحسن) ثلاثة أشخاص ليس على ما ينبغي، فإن أميراً كان لقباً إما لجلال الدين أو لولده الحسن على اختلاف النسخ، ولم يكن شخصاً ثالثاً. ثم قال: إنه لم يظهر لي وجه تلقبه بالأمير ولا وجه للتعبير عن ولده بشاه.

أقول: لكن السيّد محمد الطباطبائي أيضا وقع التعبير عنه في ترجمته بالأمير السيّد محمد، ولم يكن له إمارة رسمية. وهذا اللقب شائع في كثير من سلالة السادات لحد الآن، وكأنه تذكار بما وجد في بعض أجدادهم من الإمارة والرئاسة.

أسباب أخرى جاءت في بعض المصادر.

لمِعت شخصيات علمية وسياسية ودينية جَمّة ترعرت في أحضان هذه السلالة طيلة ما يربو على الألف سنة، ومن فروعها الطباطبائيون في «بروجرد» الذين مرّ على حياتهم فيها زهاء القرنين ونصف، قد انجبوا بدورهم شخصيات دينية معروفة أتحفوا الأمة الإسلامية بها مثل جدهم الأعلى السيّد محمد الطباطبائي، والعلاّمة بحر العلوم، والسيّد محمود صاحب المواهب وأخيراًسيّدنا الأستاذ المترجم له.

السيّد محمد الطباطبائي رأس الأسرة

ولد هذا السيّد كما صرح به نفسه في رسائله وسيّدنا الأستاذ أيضاً في رسالته(1)، في مدينة إصفهان(2)، ولا مستند لما في بعض المصادر بأنه ولد بمدينة زواره، وهي إحدى المدن التابعة لإصفهان، ولاتزال تقطن فيها عائلات من السادة الطباطبائيين.

بدأ دراسته في إصفهان ثم انتقل إلى النجف ومكث فيها ما شاء الله وكانت له رحلات إلى إصفهان مسقط رأسه، وفي إحدى تلك الرحلات من النجف أو من إصفهان، مرّ على بروجرد ـ وهي من بلاد الجبل قديماً، ورأيت بها مسجداً عتيقاً فيه كتيبة باسم أبي دُلف الذي

1- ص23.

2- لم يستبعد الأستاذ في الرسالة أن يكون إسماعيل الديباج والد إبراهيم طباطبا أول من نزل إصفهان من آبائهم في أواسط القرن الثاني فلاحظ كلامه في الرسالة ص6.

حكم الجبل في القرن الثالث ـ فلبث فيها أياما بسبب توقف طارىء للقافلة.

وكان أهالي بروجرد آنذاك يكابدون أذى الصوفية واضطهادهم، ووصلت حالتهم حدّاً بلغ السيل فيها الزبى، فلما سمعوا بوجود السيّد في مدينتهم، طلبوا منه المكوث عندهم، فلبّى السيّد طلبهم بعد أن استخار الله، ونزل في حيّ الصوفية المعروف الآن (صوفيان) للحيلولة دون انتهاكاتهم، فاستثمر الناس الفرصة، والتفّوا حوله، وعلى أثر توجيهاته وإرشاداته استبصر كثيرٌ من الصوفية فطوى بساطهم.

هذا ما ورد في جملة من المصادر، وقد بحث السيّد الأستاذ حول هذا الحادث، واحتمل في آخر كلامه أن ما اشتهر في الألسن من أنّه مال كثير من أهالي البلد إلى التصوف، وبنزول السيّد بها زال هذا الاتجاه الصوفي، إنما وقع ببلدة «كرمانشاه» فبدّلها المترجمون ببروجرد لأنها ـ أي كرمانشاه ـ كانت حين ذاك مجتمع القلندرية والباطنية، فلعل السيّد فرق جمعهم، وبعد ما انتقل عنها وتوفي، تجمعوا فيها أكثر من ذي قبل، فدعى ذلك سبطه الآغا محمد علي بن الوحيد البهبهاني رحمهما الله،أن ينزل بها لدفعهم أو كسر سورتهم(1) ومواقف سبطه هذا مع الصوفية

____

1- الرسالة ص26.

أقول: كيف يستبعد الأستاذ وجود الصوفية في بروجرد وزوال سورتهم بمكوث السيد محمد في هذا البلد، مع بقاء «حي صوفيان» فيه إلى الآن؟ ثمّ إنّ هذا لا يمنع من نضال السيد محمد مع الصوفية في بلدة كرمانشاه ايضا كسبطه ابن الوحيد البهبهاني فيما بعد. والواقع الملموس من خلال التاريخ، هو شيوع التصوف الشيعي في إيران في عصر الصفوية تبعا لهم، حيث كان جدهم الأعلى، الشيخ صفي، شيخ الطريقة وكذلك الملوك الأوائل من هذه الأسرة كانوا شيوخ الطريقة واحدا تلو آخر، ثم استمرّ الاتجاه الصوفي بعدهم في كثير من البلاد.

مشهورة.

قال السيّد الأستاذ: وأما محل إقامة السيّد فالذي علم من المصادر السابقة أنه بعد ما ولد بإصبهان، وأقام بها ما شاء الله، سافر إلى الغريّ وأقام بها في كثير من عمره الشريف، أو أكثره بحيث كان يُوصف بالإصفهاني النجفي، أو بالإصبهاني مولداً والنجفي مسكناً، بل تقدم ـ يعني في كلام السيّد، في الرسالة ـ عن حفيده السيّد جواد رحمه الله، أنه كان ميلاده بإصبهان وموطنه النجف إلى آخر ما قال(1).

وأما بالنسبة إلى محل وفاته فقد جاء في بعض تلك المصادر أنه توفّي بكرمانشاه راجعاً من العراق فأودع جثمانه الطاهر هناك ريثما يتم دفنه بالعتبات المقدسة، إلاّ أن أهالي بروجرد عندما سمعوا هذا الحادث الجلل، توجّه جمع منهم إلى كرمانشاه فنقلوه إلى بلدهم بروجرد، وله مزار معروف هناك، شيّد سيّدنا الأستاذ عليه بناءً فخماً من موقوفات آل الطباطبائي.

لكن الأستاذ أظهر الشك والتردد في موت السيّد ببلدة كرمانشاه في بحث طويل رجّح أخيراً أنه بعد أن أقام بها راجعاً عن النجف مدة ثم

____

1- ص24.

هاجر إلى موطنه بروجرد في آخر حياته فتوفّى هناك(1) علماً بأنه ـ كما قلنا ـ مدفون ببروجرد كما تواتر خبره بين الأسرة خلفاً عن سلف.

وأما تاريخ ولادته ووفاته ومبلغ عمره فلا يعلم بالضبط وقد بحث حوله الأستاذ في الرسالة فانتهى إلى أنه لا يستبعد أن تكون ولادته في الخُمس الأخير من القرن الحادي عشر الهجري (أي بين عام 1080 وعام1100) ووفاته في العُشر السادس من القرن الثاني عشر (أي بين 1150 و 1160) وأنه عاش في طبقة محمد أكمل والد الوحيد البهبهاني، والسيّد صدر الدين شارح الوافية، والسيّد نعمة الله الجزائري(2) ولم يستبعد الأستاذ حضور السيّد محمد درس خاله العلاّمة المجلسي كما جاء في بعض المصادر(3).

وأما مقدرته العلمية فقال السيّد الأستاذ: قد تحقق لنا من ملاحظة مصنفاته أنه كان فقيهاً، أصولياً، متكلماً، أديباً مطلعاً على الفنون العقلية والنقلية، واقفاً على أقوال العامة والخاصة ورواياتهما في الفقه، والكلام، مستنبطاً للأحكام عن أدلتها، مستخرجاً لفروع المسائل عن أصولها. وقد حكى الأستاذ عن كتاب الروضات أنه أحد الشيوخ الثلاثة لمولانا الوحيد البهبهاني ثم أيّد هذا القول بمساعدة الطبقة ووجود القرابة

____

1- ص26.

2- كيف يصح هذا والسيّد نعمة الله مات في سنة 1112 أي بعد موت المجلسي بسنتين أو بسنة واحدة على الخلاف في موت المجلسي ولعل الصواب السيّد نور الدين الجزائري أو ابنه السيّد عبد الله الجزائري.

3- الرسالة ص22.

بينهما نسباً وسبباً مع وحدة الموطن والمقام(1).

وأما آثاره العلمية ومؤلفاته فقد ذكرها(2) الأستاذ وذكر أبوابها وفصولها وتاريخ تأليفها ونوجزها فيما يأتي:

1 - رسالة في الإيمان والإسلام والكفر، فرغ منها في شهر رمضان عام 1126 هـ .

2 ـ رسالة في مولد النبي والأئمة صلوات الله عليهم ووفياتهم، فرغ منها في شهر شوال عام 1126 هـ .

3 ـ رسالة في الزيارات، فرغ منها في أواخر رمضان عام 1140 هـ .

4 ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: «وإذا ابتلي إبراهيم ربُّـه بكلمات»، بلا تاريخ .

5 ـ شرح المفاتيح للفيض الكاشاني، لم يره، بلا تاريخ.

6 ـ رسالة في صوم يوم عاشورا، لم يقف عليها الأستاذ.

هذا ما ذكره الأستاذ في رسالته، ولكن آية الله السيّد محمد باقر الطباطبائي المعروف بالسلطاني ـ وهو من المدرسين الكبار بقم ومن نفس الأسرة وكبيرها في الوقت الحاضر(3) ويتلاقى نسبه كما حدثني هو مع السيّد الأستاذ في السيّد جواد الجد الثالث للاستاذ ـ قد طبع بالأفست مجموعة من رسائل جده عام 1364 هـ وسمّاه بـ(مجمع الفوائد)، فيها

____

1- الرسالة ص22.

2- الرسالة ص18 و19.

3ـ وقد توفي رحمه الله في العام الماضي.

بعض المذكورات: كرسالة الإيمان، ورسالة مواليد النبي والأئمة، وفيها رسائل أخرى سوى المذكورات حول تفسير بعض الآيات، ومن جملتها رسالة سهو النبي، ورسالة عدد أيام شهر رمضان، وفي آخرها رسالة في الرضاع كبيرة.

العلاقة بين أسرة الطباطبائي وأسرة المجلسي

وأمّا الحديث عن نسبة السيّد محمد الطباطبائي وأسرته إلى المجلسيين فمختلف الآراء، فظاهر كلام السيّد عبد الله بن السيّد نور الدين بن السيّد نعمة الله الجزائري (1114 ـ 1173) في أجازته الكبيرة المؤرخة بـ2ج2 عام 1168 هـ، أن السيّد ابن أخت المولى محمد باقر المجلسي، وأن أمه كانت بنت المولى محمد تقي المجلسي، وبه صرح صاحب الروضات(1)، وحكاه الأخ الدواني في كتابه(2) عن السيّد الأستاذ قاله له مشافهة، لكن الذي وصل إليه الأستاذ في رسالته بعد بحث طويل، استناداً إلى ما وجده في شتات مؤلفات جده السيّد محمد (حيث يصرّح فيها بأنّ التقي المجلسي جده، والباقر المجلسي خاله، وكذلك يصرح بأن المولى صالح المازندراني صهر المجلسي الأب كان جده، وزوجته آمنة بيگم بنت المجلسي الأب، وأخت المجلسي الثاني كانت جدّته، وقد سرد نصوصاً من كلامه) هو أن أم السيّد محمد كانت ابنة المولى صالح وإن لم تذكر هذه في جملة أولاده، وأن السيّد

1- الرسالة ص7.

2- حياة الإمام البروجردي باللغة الفارسية.

الجزائري ومن بعده لم يقفوا على مؤلفات السيّد محمد. وعليه فالمجلسي الأول كان جد أمه والمجلسي الثاني كان خالها. ومن هنا جاء التعبير عنهما بالجد والخال في كلام جماعة من هذه الأسرة، ومن يتصل بهم نسباً وسبباً، وكان السيّد الأستاذ أيضاً يعبر عنهما بالجد والخال على أن هناك أسباباً أخرى لهذين التعبيرين، من أجل مزاوجات كثيرة اتفقت في الأسرة. تعرّض لها سيّدنا الأستاذ في الرسالة في فصل خاص(1):

منها أنّ أبا المعالي الكبير الطباطبائي ـ وهو ابن السيّد مراد وأخو السيد عبدالكريم، وعمّ السيّد محمد الطباطبائي، والجد الأعلى للسيّد علي صاحب الرياض والسادة الطباطبائيين القاطنين بكربلاء ـ كان صهراً لملا صالح المازندراني ـ وهو صهر المجلسي الأوّل ـ على ابنته الأخرى من

آمنة، خلّف منها الأمير أبا طالب ـ وهو أبو المعالي الصغير ـ وهذا أيضاً بدوره خلّف بنتاً كانت تحت السيّد محمد الطباطبائي ـ وهي أم السيّد مرتضى، الجد الرابع لسيّدنا الأستاذ ـ وقد خلّف هذا منها بنتاً واحدة كانت تحت العلامة الوحيد البهبهاني رحمه الله.

ومنها أنّ الأمير أبا طالب كان صهراً لآغا رضي بن عبد الله بن المولى محمد تقي المجلسيّ وخلّف منها بنتاً كانت تحت السيّد محمد الطباطبائي كما مرّ آنفاً، فالمجلسيّ الأول هو جدٌّ للسادة الطباطبائيين في بروجرد من ناحية الأم مرتين كما أن المجلسي الثاني خالهم كذلك من

1- الرسالة ص10 إلى ص14.

ناحيتين، بل ثلاث مرات مع احتساب أمّ السيد محمد التي ـ كما مرّت بنا ـ كانت بنت بنت المجلسي الأول وبنت أخت المجلسي الثاني.

وقد بحث الأستاذ في الرسالة بحثاً مستوفى عن الأسرة المتصلة بأسرته بالمصاهرة وذكر ماوقع بينها من المزاوجات لاسيما بين فرع الطباطبائي ببروجرد وفرع كربلاء والنجف، وبين (آل آغا)، وقال في آخر كلامه في هذا الفصل: «بل هذه البيوت الثلاثة كانت كبيت واحد لكثرة ما وقع بينها من المزاوجات».(1)

أعقاب السيّد محمد الطباطبائي

خلّف السيّد أربعة أولاد، هم: السيّد مرتضى ـ وهو الجد الرابع لآية الله البروجردي ـ والسيّد رضي، والسيّد رضا والسيّد علي، وبنتاً واحدة هي عقيلة تلميذه المحقق آغا محمد باقر الإصفهاني المعروف بـ(الوحيد البهبهاني) كما عن كتاب روضات الجنات، وهي والدة العالم الجليل آغا محمد علي الكرمانشاهي، الجد الأعلى لأسرة (آل آغا) وكان جميع وُلد السيّد محمد من العلماء، أصحاب الجاه والسطوة ولهم باع في التأليف يمكنك الوقوف عليها في رسالة السيّد الأستاذ وغيرها.

كان السيّد مرتضى يسكن النجف في البداية ثم توجّه تلقاء كربلاء، حيث يسكنها بنو أعمامه الطباطبائيّون فرع كربلاء، وفيها توفي عام 1204 هـ، وصلّى عليه ابنه العلامة بحر العلوم، ودُفن في رواق

---

1) الرسالة ص 14.

ـ[35]ـ

الإمام الحسين عليه السلام، عند أقدام الإمام حيث يثوي السيّد علي صاحب الرياض، والعلامة الوحيد البهبهاني، وكان اسمه منقوشاً على الصندوق مع اسمهما، بيد أنه انمحى بعد ذلك حيث بدّل آل صاحب الرياض الصندوق، فأمر آية الله البروجردي بنقشه ثانيةً(1). وخلّف السيّد مرتضى ابنين: أحدهما السيّد جواد، وهو الجد الثالث لآية الله البروجردي، وثانيهما العلامة النحرير، بحر العلوم السيّد مهدي.

أما السيّد رضي والسيّد رضا فقد كانا يسكنان في بروجرد فماتا فيها ودُفنا مع والدهما السيّد محمد ولهما أعقاب بها. وأما السيّد علي فقد انتقل إلى يزد بطلب من أهاليها وكانت له حوزة علمية وطلاب هناك ووافاه الأجل فدفن فيها وله قبر يزار وعقبٌ كثير.

العلاّمة بحر العلوم

أمـا السيّد مهدي الطباطبائي المعروف بـ(بحر العلوم) فهو ـ كما قلنا ـ نجل السيّد مرتضى حفيد السيّد محمد، والعمّ الأكبر لآية الله البروجردي وأسرته، وقد عبّر عنه الأستاذ في الرسالة بـ(عمّنا) وقد ذاع صيته في الآفاق، فامتلأت الكتب بفضائله ومناقبه، وتنوّرت القلوب بها ـ يعجز الكلام عن استيفاء حقّه، فهو غنيّ عن التعريف.

وُلد بحر العلوم في كربلاء سنة 1155 هـ، وتتلمذ عند أعاظمها أمثال الشيخ يوسف البحراني، صاحب كتاب (الحدائق)، والشيخ

1ـ لكنّي زرت العتبات المقدسة قبل شهور فما رأيت الصندوق الذي كنت رأيته أيّام شبابي بل أزيل من أصله، كما أزيل كثير من قبور العلماء في النجف وكربلاء. وبلدة الكاظمية.

ـ[36]ـ

مهدي الفتّوني، والشيخ محمد تقي الدورقي، وحضر أخيراً عند زوج عمته(1) الأستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني، وبلغ درجة عالية من العلم والعمل، وحاز الكمالات النفسية ومكارم الأخلاق أوجها، وكان أحد النجوم المتألقة في عالم التشيع بعد الوحيد البهبهاني. سافر إلى مدينة مشهد المقدسة

لزيارة الإمام الرضا عليه السلام سنة 1186 هـ، على أثر الطاعون الذى انتشر في كربلاء، فالتقى هناك العلامة الميرزا مهدي الخراساني الشهيد، جدّ آل الشهيدي في مشهد، وأحد التلامذة البارزين للوحيد البهبهاني، فأطلق عليه هذا العالم لقب (بحر العلوم) لغزارة علمه.

ومن بركات السيّد بحر العلوم في سفره هذا، أن استبصر جماعة من الناس واعتنقوا مذهب أهل البيت عليهم السلام، ودخل عدد من اليهود في الدين الإسلامي، وله حكايات وكرامات ولاسيما بشأن اتصاله بالإمام المنتظر عليه السلام لا يستوعبها هذا الحديث الموجز.

لازالت أسرة بحر العلوم من الأسر العلمية المحترمة والمعزّزة في النجف الأشرف، وغيرها من الحواضر. إنّ كريمة السيّد بحر العلوم هي عقيلة السيّد محمد المجاهد نجل السيّد علي صاحب كتاب (رياض المسائل) وعن هذا الطريق اتصل أسرة الطباطبائي القاطنة بكربلاء بهذه الأسرة فرع بروجرد، وهذا بعد ما كان بين الفرعين علاقة قديمة نسباً وسبباً كما مرّت بنا.

توفي العلاّمة بحر العلوم سنة 1212 هـ بالنجف الأشرف ودفن

___

1- جاء في بعض التراجم: زوج خالته، وهو سهو. اللّهمّ إلاّ إذا كانت للوحيد زوجة أخرى، غير بنت السيد محمد وكانت أخت أُم بحر العلوم.

إلى جوار قبر الشيخ الطوسيوله مزار معروف، وللسيّد الأستاذ كلام طويل في رسالته حول آل بحر العلوم نقلاً عن كتاب أرسله إليه بعض آل بحر العلوم من النجف(1).

آباء آية الله البروجردي وأبناؤه

ينتهي نسب آبائه إلى السيّد مرتضى، الابن الأكبر للسيّد محمد الطباطبائي، وكلّهم كانوا ملاذاً للناس ومن أهل العلم في بروجرد.

وكان العلامة الميرزا محمود البروجردي عمّ والد آية الله البروجردي، نجل الميرزا علي نقي، بن السيّد جواد بن السيّد مرتضى، عالماً كبيراً امتدت زعامته الروحية بهذا البلد أربعاً وخمسين سنة، وكان في نفس الوقت يعتبر عميداً لسلالة الطباطبائية في بروجرد. له مؤلفات منها كتابه القيم «المواهب السنية»، وهو شرحٌ لـ«الدّرّة الفقهية» للعلامة بحر العلوم.

توفي هذا السيّد سنة 1300 هـ، وذكر الأستاذ في رسالته: أنّ «يوم وفاته كان يوماً مشهوداً وكنتُ إذ ذاك ابن تسع سنين(2)» ودُفن في مقبرة خاصة، على مقربة من مقبرة جدّه السيّد محمد، ويثوي في هذه المقبرة عدد من أفراد هذه الأسرة الكبيرة.

أما السيّد عبد الكريم، نجل السيّد علي نجل السيّد محمد الطباطبائي، فهو أيضاً بدوره أحد كبار هذه السلالة، وله مؤلفات وينتهي إليه السادة العلويون في بروجرد.

1- الرسالة ص34.

2- الرسالة ص39.

أما أولاد آية الله البروجردي فهم أربعة(1): اثنان من الذكور واثنتان من الأناث، ولده الأكبر المرحوم حجة الإسلام والمسلمين السيّد محمد حسن كان عالماً فاضلاً، وكان يساعد أباه في موسوعته الرجالية، ومن أعماله الحسنة أنه سعى في طبع كتاب «جامع أحاديث الشيعة»، وله مقدمة وافية على هذا الكتاب، وقد تولى إمامة المسجد الأعظم، وكان ناظراًومتولياً لهذا المسجد، وقد توفي قبل سنين فانتقل منصبه إلى ابنه العالم السيّد محد صادق الطباطبائي الذي سعى بدوره في نشر آثار جده الرجالية، مشكوراً وسنتكلم عليها.

أما نجله الآخر السيّد أحمد الطباطبائي فقد صرف شطراً من عمره في طلب العلم لكنه وافاه الأجل قبل أخيه الأكبر في عنفوان شبابه، رحم الله الماضين من هذه السلالة الجليلة وحفظ الباقين.

1- وهؤلاء الأربعة كلهم من زوجته الثانية، وجاء في رسالته أنه كان له من زوجته الأولى خمسة أولاد ابنان وثلاث بنات، ماتوا في سن الطفولة سوى بنت واحدة فماتت في شبابها.

حياة السيّد الأستاذ البروجردي

هو نجل حجة الإسلام السيّد علي ـ وقد علمنا سلسلة نسبه بإسهاب ـ وُلد في بلدة بروجرد ـ حيث تقطنها أسرته من عهد جده الأعلى السيّد محمد الطباطبائي ـ في آخر شهر صفر سنة 1292 هـ وسُمّي حسيناً ـ لم يتصور أحد عند ولادته أنه سيصبح أشهر أبناء الأسرة الطباطبائية، وأحد البارزين من علماء الإسلام ومن كبار مراجع الشيعة الإمامية.

وبعد إتمامه دورة الكُتاب دخل مدرسة (نور بخش) في بروجرد، حيث كانت يوم ذاك مركز تجمع فضلاء البلد، ومحور الحوزة العلمية في المدينة، اتخذ لنفسه غرفة في المدرسة. لا زالت معالمهما شاخصة إلى يومنا هذا. منذ دخوله الكتاتيب والمدرسة، كان نجم حظّه يتلألأ، ومحياه يحكي عن مستقبل مشرق زاهر ينتظره. وامتاز بذاكرة قوية واستعداد متفتّق وذكاء فريد، كلّ ذلك جعله يجتاز المرحلة التمهيدية من المدرسة الحوزوية بسرعة فائقة، ولم تعد تلك المدرسة تبلّ صداه وتروي غليله، لذلك يمّم وجهه صوب كعبة العلم يوم ذاك في إيران، إصفهان، حيث كانت فيها حوزة عظيمة، وعلماء وأساتذة قديرون. أكفاء، في فروع العلوم العقلية والنقلية. ولا غرو فقد ورثت هذه الحوزة تركة حوزة علمية عظيمة من العصر الصفوي، بل تراث القرون الإسلامية الأولى، ولازالت تحتفظ بمركزيتها حيال الحوزات العلمية الأُخرى في إيران.

في إصفهـان

أقام السيّد البروجردي في مدرسة الصدر التي لا زالت مركزاً للحوزة العلمية في تلك المدينة الكبيرة. أنس بمرافقة ابن عمه الفاضل (آغا نوح الدين) الذي كان مقيماً معه في تلك المدرسة، لذلك لم يشعر بالغربة كثيراً.

كانت مدينة إصفهان يومئذ ـ بمدارسها الكثيرة، وعلمائها وفضلائها ومدرسيها المشهورين ـ مهوى أفئدة طلاب العلم، تجذبهم إليها، وتلهب أوار الشوق في نفوسهم نحوها.

كان السيّد الأستاذ يرى بأن فترة إقامته في إصفهان كانت من أسعد وألذ الفترات في حياته وطالما كان يتحدث في مناسبة وأُخرى عن ذكرياته العذبة الحلوة في تلك المدينة العظيمة، فيبعث الحديث في نفسه البهجة

والاغتباط. وبما كان يحمله من روح عرفان الجميل، وشكر النعمة، لذلك كان يذكر أساتذته وزملائه في تلك البلدة بخير.

ومما كان يقوله مثلاً بأنه عند نزوله في إصفهان، حضر درس المرحوم السيّد محمد باقر درچه اى(1)، فكان يبدي له هذا الأستاذ ودّه ومحبته بدرجة لا حد لها، مع تمتعه بجميع الفضائل العلمية والملكات الأخلاقية. لذلك لم ينس هذا الأستاذ حتى آخر لحظة من عمره.

ومن جملة ما كان يذكره عنه، محاولته إزالة الوسواس من السيّد

---

1) دُرتشئي.

الأستاذ حيث كان يقف على رأسه، وهو يظن أنه يتوضّأ وضوءً باطلاً، أو يصلي بحضوره صلاة غير صحيحة، إلى أن رفع الوسواس من نفسه.

مضافا إلى درس هذا الأستاذ، كان يحضر عند الميرزا (أبو المعالي الكلباسي)، والسيّد محمد تقي المدّرس، وكان ذانك العالمان من فطاحل العلماء حينئذ. والآراء الصائبة الدقيقة التي كان يطرحها هذا التلميذ في حلقات الدرس لفتت أنظار الأساتذة نحوه تدريجاً. وأضحت كفاءته واستعداده وذوقه حديثاً يتداوله الطلاب. فلو غاب عن الدرس يوماً، فإنّ غيابه كان ملحوظاً، فكّر هذا الطالب الذي احتل موقعاً بين الطلاب الأفاضل، في تعلم الفلسفة، مضافا إلى الفقه والأصول. وكان يشعر بنقص في معلوماته بدون هذا العلم. علماً بأن الفلسفة كانت تحظى بمنزلة خاصة في إصفهان وطهران ومشهد آنذاك، وكان في إصفهان عددٌ من الفلاسفة المشهورين بعضهم من تلامذة الحكيم المشهور الحاج ملاّ هادي السبزواري (1213 - 1289 هـ ق)، ولهم ميول واتجاهات فلسفية متنوعة فكان من بين هؤلاءالذين يدرّسون في مدرسة الصدر نفسها الآخوند ملا محمد الكاشي، وهو فيلسوف وعارف ربّاني لا زال اسمه وصداه يرنّ في الأوساط العلمية رغم مضي ما يقارب القرن. وكان يسكن في إحدى الغرف الشمالية السفلية في تلك المدرسة إلى آخر حياته ولم يتزوج.

واتفقت الكلمة على عظمته وجلالته عند كلّ من رآه أو حضر درسه، وقد أدركت أنا شيخاً كبيراً من علماء إصفهان، كان أيام شبابه

مع الآخوند الكاشي في حجرة واحدة فترة من الزمن فنقل لي مقتطفات عن زهده وطعامه ولباسه، وحكي لي أن الآخوند أخبرنا بأن للسيّد أبي الحسن الإصفهاني ـ وكان ممن حضر درس الآخوند ـ مستقبلاً مشرقاً، وقد تحقق صدقه.

ومن أساتذة الفلسفة الآخرين يوم ذاك في إصفهان المرحوم جهانگيرخان القشقائي (1243 - 1328 هـ) الذي لا زالت له شهرته ومنزلته عند أهل العلم، ولعل آخر من بقي من تلامذته هو العالم المشهور المعاصر آية الله أرباب الإصفهاني الذي توفي قبل بضع سنين.

وجد السيّد الأستاذ طريقه إلى درس هذين الأستاذين الحكيمين. وحصل على معلومات كافية خلال مدة قصيرة، وكان أستاذه جهانگيرخان يُولي هذا الطالب المستعد عناية خاصة ويركز على مخاطبته في الدرس.

وقد سمعت آية الله الشيخ محمد رضا الكلباسي الإصفهاني القاطن في مشهد حوالي خمسين سنة ـ وكنت أدرس عنده شرح المنظومة برهة من الزمن، وكان من زملاء سيّدنا البروجردي، وشركائه في الدرس أيام إقامته بإصفهان ـ يقول: «إنّي سعيت في اتجاه السيّد البروجردي إلى درس الفلسفة ولحضوره حلقة جهانگيرخان وكان السيّد يشكرني إلى آخر أيام حياته.».

وكان سيّدنا البروجردي يقول: «بأن مدرسة الصدر لم تَعهد مثل ذلك النظام ومثل أولئك الأساتذة في حياتها وأنّه لم يَرَ طلاباً كطلابها

منهمكين في طلب العلم».

كان السيّد الأستاذ يعيش حياة العزوبة في تلك الفترة. وفي صباح يوم من أيام شهر ربيع الأول سنة 1314 هـ، جلس أمام حجرته ـ وهو يفكر ـ فإذا بشخص يدخل المدرسة ويقدم له رسالة من أبيه يطلب فيها منه التوجه إلى بروجرد. فغرق في التفكير بالسبب الذي دعا والده ذلك. وبعد أيام يمّم وجهه صوب بروجرد. وفيها أنعم الله عليه بالزواج، حيث آنسه والده بالآنسة خديجة التي ظلت مخيّلتها تراوده حتى آخر عمره، لما كانت تقدم له من خدمات مشكورة في مجال طلب العلم. وكان يرى توفيقه في طلب العلم مديناً لهذه العالمة الجليلة مادام حياً. وأنا أتذكر أنه كان في كلّ اسبوع مرة واحدة أو أكثر بعد الدرس يذهب إلى أيوان الصحن الكبير لحرم السيّدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث كانت زوجته مدفونة هناك ويجلس عند قبرها ويقرأ لها الفاتحة وبعض آيات القرآن. وطالما سمعته يذكرها بخير.

بعد مدة عاد السيّد إلى إصفهان بصحبة عقيلته، مجّداً على مواصلة الدراسة، وقد وفّرت له جميع وسائل الراحة ليتسنى له الاستمرار فيها.

وأصبحت له حوزة خاصة به حيث زاول التدريس. وكان يحضر في درس قوانينه ما يربو على مائة طالب. وفي نفس الوقت كان مشغولاً بحفظ القرآن الكريم، فاستطاع أن يحفظ حتى آخر سورة التوبة خلال مدة قصيرة. وكان يعرب عن ارتياحه وابتهاجه لهذا التوفيق الذي حَظي به.

إنّ الذاكرة الجيدة نعمة في الحقيقة، وقد سمعته يقول: «بأنه عندما كان في إصفهان، كان الآخرون يعبرون عن عجبهم وانبهارهم لاجتماع الذاكرة القوية والاستعداد المتألق عنده، إذ قلما يجتمعان عند أحد.».

وفي يوم من أيام «النوروز»، ناوله شيخ كبير رسالة عندما كان في قم. وبعد قرائتها قال له: في أي درس من دروسي كنت تحضر؟ قال: في درس القوانين. قال له: هل تتذكر أنك طرحت إشكالاً في الدرس وأجبتك عليه؟ فقال الشيخ الكبير منبهراً من ذاكرته القوية: «لا أزال مصراً على كلامي.» فأجابه السيّد متبسّماً: وأنا لا أزال أعتقد أنك على خطأ!!.

العودة إلى بروجرد

عاد السيّد إلى بروجرد على أثر رسالة من والده سنة 1319هـ حيث طلب منه السفر إلى النجف بعد أن هيّأ له مستلزماته. ودّع السيّد أساتذته فتألّموا لفراق مثل هذا الطالب البارز الفاضل. ثم شد الرحال إلى بروجرد بعد أن قضى مدة في إصفهان استفاد وأفاد خلالها كأقصى ما يمكن، وخرج منها بيد مملوءة، بزاد العلم ليعد نفسه من أجل سفر أبعد وعلم أكثر بيد أن تلك الذكريات الحلوة العذبة ظلت تراود مخيّلته ردحاً من الزمن. وكما قلت سابقاً، فإنه كان يتذكرها مراراً، ولم يغب عن باله حتى آخر عمره. وكان يقول: «إني رسّخت أسسي العلمية في إصفهان إلى درجة أني عندما ذهبت إلى النجف، لم تتغير عندي كثير من الأُسس والمباني.».

ـ[45]ـ

أجل، لقد رجع السيّد من إصفهان إلى وطنه بروجرد، وهو يحمل إجازات(1) أساتذته الكبار في إصفهان وقد استغرقت مدة إقــامته فيها تسع سنين ابتــداء من سنة 1310 حتى سنــة 1319 هـ . ق وقوبل في بروجرد بترحيب يفوق الوصف. وبعد مدة شد الرحال إلى النجف بمعية أخيه الصغير السيّد إسماعيل.(2)

الهجرة إلى النجف

تأسست الحوزة العلمية في النجف أيام هجرة شيخ الطائفة الإمامية، الشيخ الطوسي إليها سنة 448 هـ بعد تركه بغداد على أثر احتلالها من قبل طغرل بك السلجوقي، وأصبحت داراً صغيرة للعلم

____

1) تاريخ إجازة آية الله العظمى السيد أبي القاسم الدهكردي، من الأساتذة الكبار بإصبهان حين ذاك، لسيدنا الأستاذ ـ كما ستقف على نصّها ـ هو شهر رجب عام 1320هـ، فهل الأستاذ بقي إلى هذا التاريخ في إصبهان، حتى تكون مدّة إقامته بها عشر سنين، أو أنّ السيد الدهكردي أرسل إليه الإجازة بعد أن غادر إصبهان عام 1319 هـ لا نعلم بالضبط؟ وعلى أي حال فإنّ هذه الإجازة تنصّ مرّتين على بلوغ السيد الأستاذ درجة الاجتهاد حين ذاك. وهذا يدعم قوله «إنّي رسّخت اُسسي العلمية في إصبهان الخ». وسمعته مرة يقول: «أنّ بعض الأساتذة هناك حرّم عليّ التقليد، وبعضهم كلّفني بأن أحتاط بين رأيي ورأي غيري، حتى أكون عاملاً بالوظيفة!!

2) هذا السيد الجليل والعالم النبيل توطن مدينة «مشهد» المقدسة وكنت أراه كثيراً، وكان دائم السكوت ومنزويا عن الخلق، ومات رحمه الله حدود عام 1362هـ وحضرتُ جنازته، فشيّعه العلماء والطلاب، تعظيما له ولأخيه ـ سيّدنا الأستاذ، وهو يوم ذاك ـ على ما أظن ـ لم ينتقل من بروجرد إلى قم وكان له ابن يعمل في السوق.

ـ[46]ـ

حتى سنة 460 هـ حيث توفي الشيخ الطوسي. وعاشت فترات مدّ وجزر، ومراحل من تقلبات الدهر على امتداد القرون وللعلامة الطهراني صاحب كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» كلام حول تلك الحوزة في مقدمته

على تفسير «التبيان» التي سماها (حياة شيخ الطائفة)، حيث احتمل وجود تلك الحوزة قبل هجرة الطوسي إلى النجف.

ومهما كان الأمر، فلقد كان لتلك الحوزة ـ التي كانت كعبة الآمال لطلاب العلوم الدينية ومعارف أهل البيت عليهم السلام واحتضنت آلاف العلماء المحققين ـ تألّق ملحوظ من الناحية الكمية والنوعية آنذاك، أي: سنة 1320 هـ. بل لم يشهد النجف حتى ذلك العصر حلقة درس فيها ألف ومائتا طالب كالّتي كان يديرها آية الله الآخوند محمد كاظم الخراساني صاحب كتاب «كفاية الأصول». وما عدا درس الآخوند الخراساني الذي كان أكثر الدروس طلاباً، فقد كان هناك آية الله السيّد محمد كاظم اليزدي صاحب كتاب «العروة الوثقى»، وآية الله شيخ الشريعة الإصفهاني، وأمثالهما، حيث كانوا مشغولين بالتدريس.

كان السيّد الأستاذ يوم ذاك ابن ثمان وعشرين سنة ومن شباب طلاب الآخوند. وبعد أيام من حضوره في الدرس، سجل إشكالاته وقدّمها إلى أستاذه في جلسة خاصة، فطرحها الأستاذ في الدرس وأجاب عليها. ومنذ ذلك الحين، أصبح ذلك التلميذ الشاب الجديد موضع اهتمام أستاذه، وذاع صيته بين الطلاّب.

سمعتُ المرحوم آية الله السيّد هاشم نجف آبادي أحد العلماء

_[47]_

البارزين في مدينة مشهد المقدسة(1) أنه كان يرى سيّدنا البروجردي في النجف ـ وقد دخله حديثا ـ وهو يمشي بكل وقار واتّزان مع أنه كان شاباً. وكان الطلاب يدلّون بعضهم البعض عليه. وسمعت والدي ـ الذي كانت له علاقة ورابطة خاصة بالآخوند الخراساني ـ يقول: «أنه عندما كان يتحدث السيّد البروجردي في درس الآخوند، فان الآخوند يقول لطلابه: اسمعوا ماذا يقول السيّد، وإذا لم يتحدث، فإن الأستاذ كان يلتفت إليه بعد طرح الموضوع ويقول له: عندك رأي في هذا الموضوع؟».

زاول سيّدنا البروجردي تدريس كتاب «الفصول» في النجف مضافاً إلى طلبه العلم. وكان لدرسه روعة أكثر من دروس الآخرين. مضافاً إلى ذلك، فإنه كان ـ بعد درس الأستاذ ـ يقوم بتقرير الدرس لجمع غفير من الطلاب. وكان يحضر مضافاً إلى درس الآخوند ـ درس شيخ الشريعة الإصفهاني والسيّد صاحب (العروة الوثقى) بيد أنه كان

1- وهو الجد الأمي للسيّد القائد آية الله الخامنئي. وقد توفي عام 1380 هـ. وكان من أسرة «ميردامادي» الكبيرة، ولد في النجف الأشرف،

وترعرع وأكمل دراسته فيها وتعلّم على الآخوند الخراساني وغيره، وكان مشاركا في البحث للمغفور له آية الله العظمى السيد محسن الحكيم رضوان الله عليه ـ واستمرت الصداقة بينهما إلى آخر أيام حياته ـ ثم انتقل إلى المشهد الرضوي، وكان يقيم الجماعة في جامع «گوهرشاد» ويدرّس تفسير القرآن الكريم طوال السنين. وقد أوذي في ملحمة «گوهرشاد» وأُبعد مع سائر العلماء البارزين بعد تلك الكارثة إلى «طهران»، ثم أُبعد هو إلى «سمنان» ثم إلى «الري» وبقي مُبعَّدا مع عائلته حتى فرّ «رضا خان» من إيران في اثناء الحرب العالمية الثانية فرجع إلى مشهد. وبدأ اعماله من جديد. وهو والد زوجتي، رحمة الله عليه رحمة واسعة.

ـ[48]ـ

يتحدث دائماً عن ذكريات درس الآخوند بكل تلهف ونشاط حتى كأنه يجلس الآن أمام أستاذه في حلقة الدرس. فمن تأليفاته دورة حاشية «كفاية الأُصول»، وهي ثمرة من ثمرات تلك الفترة، وأنا لم أظفر عليها لحد الآن وكان يحكي ـ كما سمعته ـ قضايا عن أستاذه فيما يخصّ النظام المشروطة وما رآه مرتين في المنام من سقوط أستاذه من السطح مرة، ومرة أخرى أصيب بالرصاص وهو على منبر التدريس في المسجد الهندي فسقط على الأرض مضرّجاً بدمه، وقد استقبله سيّدنا الأستاذ ورفعه على صدره وهو في صورة طفل، فكأنه أُلهم في المنام بما سيلقاه أستاذه الكبير من الصدمات في قضية المشروطة.

أقام السيّد الأستاذ في النجف من سنة 1320 حتى سنة 1328 هـ. ثم عاد إلى بروجرد أواخر تلك السنة إثر طلب متكرر من أبيه، على أمل أن يعود إلى النجف ثانية بيد أنه لم ينجح في ذلك. رجع حاملاً معه إجازة أستاذه الآخوند الخراساني وشيخ الشريعة الإصفهاني وقد أجازاه في نفس السّنة كما ستقف عليها ونبحث عنها في آخر هذا البحث. وقد تأسّف الأستاذ الخراساني على فراقه فيما يدور بينهما من الرسائل وكان الأستاذ البروجردي هو الآخر يعبر عن مدى تأثّره دائماً بسبب فراق النجف. وسمعته يقول: «بأنه يأمل العودة إلى النجف.» وبالفعل صمم على ذلك آخر الأمر، حين غضب على أعمال الشاه المضادة للإسلام. وكان هذا مغادرة وإعراضا منه وطعنا بالنظام الحاكم يوم ذاك. وكان في فترة من الزمن يهييء أسبابه لكنه انصرف وعاجلته المنية قبل تحقيق أمنيته.

ـ[49]ـ

عندما عاد سيّدنا البروجردي إلى وطنه قوبل بحفاوة وترحيب حار من قبل أهلها. وامتلأت الآفاق بالحديث عن علمه ونبوغه. وكان كلّ واحد من أعضاء السلالة الطباطبائية يوليه عناية خاصة. بيد أن الحسد والتحسس من قبل المنافسين في المدينة أفضى به إلى الانعزال حتى فكر بالرجوع

إلى النجف، بيد أن والده ـ الذي كان يعقد عليه الأمل، وكان يود أن يكون إلى جانبه في اللحظات الأخيرة من عمره ـ ودّع الحياة، فثقل كاهله بأعباء إدارة شؤون العائلة.

بعد أيام، وافته رسالة تعزية من أستاذه، وهي تعبر عن شوقه البالغ للقاء تلميذه، ولكن كما نعلم فإن الآخوند توفي في نفس السنة أي سنة 1329 هـ. فتأثر سيّدنا البروجردي كثيراً حيث كان يقول بأن وفاة أبوين خلال ستة أشهر، مع متاعب الحياة المتنوعة، أمور ثقيلة شاقة لا تهون. وعلى خلاف رغبته الباطنية، اضطر إلى الاقامة في بروجرد حيث استغرقت زهاء ثلاثين سنة. بيد أنه استطاع خلال تلك الفترة ان يضع حجر الأساس للحوزة العلمية في بروجرد، ويوطّد دعائمها وأركانها مما أفضى ذلك إلى انشغاله وانهماكه. وكان يصمد أمام تقلبات الدهر، والأحداث المتتابعة، والعراقيل التي كان يفتعلها الناس أو المسؤولون الحكوميون وإنّ أحد مراجع التقليد المحليين أرجع الناس إليه في التقليد فحاز على منصب المرجعية وهو في بروجرد. وفي تلك الفترة، مرّ بصدمة عنيفة بسبب وفاة بنته الوحيدة وهي شابة.

السفر إلى مشهد

إنّ وفاة ابنته والآلام النفسية التي كان يعانيها أجبرته على السفر إلى مدينة مشهد المقدسة عام 1340 هـ والإقامة فيها لبضع شهور فلقى اهتماماً وعناية من لدن علماء المدينة وطلابها. واستطاع أن يشكل حلقة للتدريس. وأنس بكبار المدينة ووجهائها، ومنهم العارف المشهور الشيخ حسن علي الإصفهاني. نقل لي والدي: «أنّ السيّد كان يؤم المصلين في مسجد (گوهرشاد)، وكلّ من كان لا يأتمّ بأحد في الجماعة بعد المجتهد الشهير «الشيخ محمد تقي البجنوردي»، كان يحضر الصلاة خلفه. وكان يرتقي المنبر للوعظ بعد الصلاة فكنت أحضر مجلسه، علما أني لم أر ذلك مناسباً لشأنه فاخبرته به، لذلك ترك المنبر».

ونتيجة لإصرار أهالي بروجرد، وتوالي الرسائل والبرقيات منهم، ومجيء عدد من كبارهم إليه، غادر مشهد آخر الأمر بالرغم من إصرار علماء مشهد عليه أن يبقى عندهم. وفي طريقه إلى بروجرد، مرّ بمدينة قم فاحتفى به علماؤها، ومنهم: المرجع الكبير آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم. واستقبلته الحوزة ـ التي كان عدد طلابها حينئذ زهاء الألفين ـ بحفاوة بالغة.

وبناء على إصرار طلابها بدأ التدريس فيها. بيد أن الرسائل والبرقيـات انهمـرت عليه ـ ثانيـة ـ من بروجرد يطلبون منــه العـودة إلى بروجرد، فاضطر إلى ذلك وسط تأثر بالغ أبداه الطلاب في قم

ـ[51]ـ

بسبب رحيله عنهم.

لقد استغرق سفره هذا ما يربو على السنة والنصف. فعادبروجرد واستقبله أهاليها استقبالاً رائعاً. ثم أقام فيها حتى سنة 1345 هـ حيث عزم على أداء فريضة الحج في هذه السنة، فمرّ بأرض العراق، وأقام في النجف ثلاثة أشهر حيث استعاد ذكريات أيامه الماضية فيها. ورحّب علماء النجف بقدومه، ومنهم المراجع والمدرسين الكبار مثل الميرزا حسين النائيني، والسيّد أبو الحسن الإصفهاني، والشيخ آغا ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الإصفهاني وأمثالهم. وأصبحت داره مركزاً لتجمع العلماء والطلاب. وكان آية الله السيّد أبو الحسن الإصفهاني يذهب إلى داره بعد صلاة العشاء غالباً ليأنس بقربه. وبعد مائة يوم مرت على مكوثه في النجف، غادرها متوجها إلى حج بيت الله الحرام. وعند عودته من الحج، تشرّف بزيارة الإمامين الكاظمين، عليهما السلام، وهناك بلغه نبأ ميلاد ابنه الأكبر السيّد محمد حسن الذي كان ينتظره بفارغ الصبر فسرّ به كثيراً.

صادف تحركه من العراق مع اجتماع علماء إصفهان في قم احتجاجاً على بعض الأحداث السياسية في إيران حيث اتخذ رضا خان منهجاً معادياً للإسلام. فاجتمع سيّدنا البروجردي بعلماء العراق. واتخذت بعض القرارات لمواجهة تلك الأوضاع، مما أدّى ذلك إلى اعتقال السيّد على الحدود بأمر من رضا خان نفسه. فاقتيد إلى طهران وسُجن فيها. وكان رضا خان حينها في بروجرد فأعلم السادة الطباطبائيين باعتقاله. ونتيجة لإلحاح هؤلاء، أمر رضا خان بإطلاق سراحه ليذهب

ـ[52]ـ

إلى بيت «ثقة الإسلام» ممثل بروجرد في البرلمان حين ذاك، وهو أحد أعضاء السلالة الطباطبائية. وبعد عودة الشاه إلى طهران، استقبل السيّد البروجردي محتفياً به، ومعرباً له عن أسفه لهذه الحادثة. ثم طلب منه البقاء في طهران، فلم يوافق.

استغرق مكوثه في طهران مائة يوم. وكان يحظى بتكريم العلماء وعامّة الناس. وبالرغم من أنّ الشاه والعلماء طلبوا منه البقاء في طهران، بيد أنه لم يوافق على ذلك، وقرر العودة إلى بروجرد. وقبل أن يعود إلى بروجرد، زار مدينة مشهد مرة أخرى، وأقام فيها مدة سبعة أشهر. وكأنه

لم يرغب ترك ذلك البلد المقدس، لولا أنّ أسباباً متنوعة حالت بينه وبين رغبته، فتوجه تلقاء بروجرد ليواصل أعماله ونشاطاته في مسقط رأسه عام 1346 هـ .

لقد كانت تلك الفترة فترة حرجة تقارنت مع تسلط رضا خان وإجراءاته العلمانية وممارساته المعادية للإسلام. وكانت تصل أخبار سيئة كلّ يوم من مختلف أنحاء البلاد، فيتألّم لها السيّد ويعتصر قلبه حزناً حتى أرغم على اتخاذ جانب العزلة، واللوذ بالصمت المؤلم، والصبر على مضض. فلم يخرج إلاّ إلى المسجد في وقت الصلاة فقط.

استمرّت تلك الفترة المظلمة حتى سنة 1361 هـ ق حيث هرب رضا خان من إيران. وبالرغم من أنّ الأوضاع قد انقلبت رأسا على عقب، وتخلص الشعب من الإرهاب الذي ساد الأجواء أيام رضا خان، بيد أن الفقر المدقع، والبؤس الذي كان يكابده الشعب، والآثار المشؤومة التي خلّفتها الحرب العالمية الثانية، كلّ تلك الأشياء شكلت

ضغطاً على الشعب فعاش فترة عصيبة، رأى السيّد الأستاذ نفسه خلالها مسؤولاً عن مساعدة الناس وإغاثتهم، فلم يدّخر وسعاً في ذلك حتى أنه باع حديقته الموروثة ووزّع ثمنها وما ابتاع به من الأرزاق على الفقراء.

حادثة الاعتقال

أعود هنا إلى الحديث عن قصة اعتقال سيّدنا البروجردي. عندما كنت مقيماً في قم سمعت أشخاصاً مطلعين منهم الأستاذ الشهيد مطهري أن اجتماعاً خاصاً وسرياً للغاية عُقد في منزل آية الله الميرزا النائيني حضره هو نفسه، وكذلك حضره السيّد الإصفهاني، والسيّد البروجردي، والشيخ أحمد الشاهرودي أحد العلماء البارزين المتنورين حينئذ المقيم ببلدة شاهرود ورجل آخر دار الحديث عن ممارسات رضا خان المخالفة للشرع المقدس، وكيفية مواجهته، وكلّ شخص طرح رأيه. فقال السيّد أبو الحسن الإصفهاني: «يجب أن نحرّض العشائر ضده ونقضي على حكومته المخزية.» فخالفه المرحوم النائيني قائلاً: «يجب أن نستعطفه، ونردعه عن أعماله المعادية للإسلام باللّين والمرونة.» (وأضيف هنا أنه ربما بعد طرح هذا الرأي، أخرج المرحوم النائيني صورة الإمام علي ـ عليه السلام ـ من الخزانة العلوية، وأرسلها إلى رضا خان. وخلال مراسيم رائعة، أدخلوا هذه الصورة إلى طهران علماً بأنها اعتبرت تأييداً ودعماً من علماء النجف للنظام البهلوي آنذاك. فاتخذ منها رضا خان ذريعة لتوطيد أركان حكومته في تلك الفترة

ـ[54]ـ

العصيبة من الممارسات المعادية للإسلام).

لقد تم اعتقال سيّدنا البروجردي والشيخ أحمد الشاهرودي عند الحدود الإيرانية ـ العراقية، وأُرسلا إلى سجن طهران على الفور ولا أعلم ما جرى على الشاهرودي وأما سيّدنا البروجردي فيذكر هذا القائل: أن رضا خان عندما عاد من لُرستان وبروجرد، استدعى السيّد واستقبله في حديقة البلاط. وبمجرد أن وقعت عينه على السيّد، قال: «إنّ الميرزا النائيني إنسان متعقل.» من هذا يتضح أنه كان على علم بجميع وقائع ذلك الاجتماع وما جرى فيه من حديث. ولا ندري من الذي أطلعه على ذلك؟.

بعد ذلك استفسر من آية الله البروجردي فيما إذا كانت عنده حاجة. فقال له السيّد: رأيت في المعسكر أن الجنود يأكلون الرز مرة واحدة في الأسبوع. وهؤلاء هم جنود الإسلام، لذلك أرتأي أن تصدروا أوامركم بتوزيع الرز مرتين في الأسبوع. فاستحسن رضا خان هذا الاقتراح كثيراً. وأخيراً رخص بعودة السيّد إلى بروجرد.

وهناك رواية أخرى لهذا الحادث، حدثني بها حجة الإسلام السيّد محمد صادق الطباطبائي نجل سيّدنا البروجردي نقلاً عن آية الله السيّد محمد باقر السلطاني ـ وكان شاهدا لمجيء رضا خان إلى جامع بروجرد، وهو صبي مراهق ـ وهي أن السادة الطباطبائيين لما سمعوا باعتقال السيّد اجتمعوا في بيت كبير الطائفة يوم ذاك حجة الإسلام آقا عبد الحسين ابن العالم الكبير الحاج آقا محمود صاحب كتاب (المواهب)، وكان له منزلة كبيرة عند الناس وعند الحكومة وكانت له

ـ[55]ـ

لقاءات مع الشاه والتمسوا منه أن يشفع عند الشاه ليطلق سراحه واتفق في تلك الأيام قتل الفريق عبد الله الطهماسبي وزير الفوائد العامة بين بروجرد وخرم آباد، بدلاً من رضا خان خطأ، فأقاموا له مجلس عزاء في جامع بروجرد، وحضر الشاه المجلس وجلس قرب آقا عبد الحسين حيث اجتمع حوله أعضاء الأسرة فسأله الشاه من هو السيّد حسين عندكم قال لا أعرف رجلا بهذا الاسم وكرر السؤال فأجابه بنفس الجواب إلى أن قال الذي عندنا آية الله السيّد حسين وهو الآن في العتبات راجعاً من حج بيت الله، وهو رجل يمارس طول أوقاته بالعلم والتدريس والتأليف والمطالعة وحتى لا يتصل بأعضاء الأسرة إلاّ في السنة مرة واحدة أيام العيد، قال الشاه: «فما هذه الأخبار التي بلغتني عنه»؟ فقال السيّد: «أقسم برأسك أنها كذب وقال له إن السيّد عازم على زيارة مشهد والتوطن هناك وأنتم ينبغي أن تطلبوا منه الرجوع إلى بروجرد» وهذا الكلام من السيّد صدَر لإزالة ما علق بذهن الشاه من أن سيّدنا البروجردي كان بصدد إثارة الناس ضده، إلى آخر القصة حسب ما مرت بنا، وأضاف أن الشاه قال له

حين اللقاء أن السادة الطباطبائيين طلبوا مني أن أرجعك إلى بروجرد» فاعتذر السيّد بأنه نذر زيارة الإمام الرضا وبعد الزيارة سوف يرجع إلى بروجرد. فغادر طهران متوجهاً إلى خراسان وفاء بالنذر، وهذه هي السفرة الثانية له إلى مشهد وقد تحدثنا عن سفرته الأولى آنفاً.

ثم بعد ذلك وقفت على شرح القصة في مقابلة لمجلة الحوزة لآية الله السلطاني في العدد (33 ـ 34) الخاص بذكرى سيّدنا البروجردي،

ـ[56]ـ

وفيها ذكريات كثيرة نقلاً عن جماعة من أبناء الأسرة ومن خاصة سيّدنا الأستاذ وتلامذته، عدى ما أوردته أنا في هذا التصدير، ومنها ذكريات مني حول الأستاذ فليلاحظ.

سيّدنا الأستاذ بعد رضا خان

من الأحداث التي وقعت في تلك الفترة أنّ آية الله الحاج آقا حسين القمي الذي كان قد ذهب أو اُبعد إلى العراق بسبب نضاله ضد رضا خان عقب حادثة مسجد «گوهرشاد» الدموية، عاد إلى إيران. وبعد زيارة قام بهامشهد، حط رحاله في طهران. فقدّم مطالب مشروعة إلى الحكومة تقضي بإنهاء الممارسات المشؤومة لرضا خان. وكانت تلك المطالب بحاجة إلى دعم علماء المدن وتأييدهم وأنا رأيت بنفسي في مشهد كيف تجمع العلماء والطلاب في مدرسة سليمان خان لإرسال برقية دعم إلى آية الله القمي، وبرقية شجب واستنكار إلى الحكومة وكان على رأس مطالب السيّد القمي: حرية الحجاب، وتدريس القرآن وعلوم الدين في المدارس وصرف الأوقاف في محالها. بيد أن الحكومة كانت تكابر بعدم الرضوخ لتلك المطالب مما أثار موجة من الاستياء في الحوزات والأوساط العلمية والدينية فانهالت برقيات الدعم والتأييد من كلّ حدب وصوب على آية الله القمي في طهران.

وتوجه عدد من علماء طهران المحترمين إلى بروجرد لطلب النجدة من آية الله البروجردي. فأجابهم بعد تشاوره مع كبار أفراد الأسرة الطباطبائية، والعلماء ووجّه تحذيره إلى رئيس الوزراء آنذاك في

ـ[57]ـ

برقية أرسلها اليه. وهدّده بالتحرك نحو طهران فيما إذا لم يستجب لمطالب آية الله القمي. وحمّل الحكومة تبعة ما تؤول إليه الأوضاع من خطورة بالغة. وأرسلت العشائر برقيات مماثلة. فاضطرت الحكومة الاستجابة لمطالب آية الله القمي. بعد ذلك عاد السيّد القمي العتبات

المقدسة. فالتقى آية الله البروجردي في مدينة ملاير وهو في طريقه إلى مقصده. وهذا آخر لقاء بين ذينك المرجعين والزعيمين الدينيين المعاصرين، اسم كلّ منها «الحاج آقا حسين»: أحدهما القمي والآخر البروجردي، جزاهما الله عن الإسلام خير الجزاء.

السفر إلى طهران للمعالجة

سافر سيّدنا البروجردي إلى طهران للمعالجة حيث كان يعاني من «فتق ريح» سنين طويلة، فرقد في مستشفى «فيروز آبادي». استغرق رقوده في المستشفى سبعين يوماً حيث أُجريت له عمليتان جراحيتان. وانهالت عليه البرقيات من مختلف أنحاء البلاد، ومنها قم. مضافاًذلك كان عدد من مدرّسي الحوزة العلمية في قم وفضلائها يعودونه في المستشفى.
فاستثمروا هذه الفرصة، وطلبوا منه الانتقال إلى قم لتولي شؤون الحوزة فيها. وكان هذا أيضاً طلب عدد من تجار قم وطهران. ونتيجة لكثرة الطلبات، اتخذ قراره الأخير رويداً رويداً بعد الاستخارة مستجيباً لتلك الطلبات.

عندما كان السيّد راقداً في المستشفى، زاره الشاه (محمد رضا) فاستطاع عن طريق هذه الزيارة أن يكسب له شعبية في بداية حكومته.

ـ[58]ـ

وأراد أن يعزّز موقعه لمواجهة الأوضاع المتدهورة في البلاد حيث كانت إيران محتلة من قبل قوات الحلفاء، وكانت هناك ضجة حزب (توده) الشيوعي والأحزاب الأخرى واغتنم سيّدنا البروجردي هذه الفرصة، فتحدث مع الشاه حول بعض المسائل والقضايا الداخلية المهمة، منها: قضية الصحافة حيث كانت الصحف تتهجم على المقدسات بكل صلافة ووقاحة. وقدّم توجيهاته القيمة في هذا المجال، فقال: «نظراً لما جرى من غفلة وتساهل في الماضي، لذلك يجب الاهتمام بالمعنويات والشؤون الدينية ولاسيما بين الشباب.» علماً بأن هذا اللقاء كان أول لقاء بين الشاه الشاب آنذاك وبين سيّدنا البروجردي. أعقبته لقاءات أُخرى في قم، كان السيّد الأستاذ ينبهه فيها على بعض المطالب الضرورية. بيد أنّ هذه المطالب لم تلق أذناً صاغية، إلى أن حدث ما قد حدث. ولو كان الشاه قد سمع تلك التذكيرات وعمل بها، لما غرق في الوحل إلى تلك الدرجة التي تقوّضت فيها أركان حكومته وملكه. وكثير مما ذكرته هنا جاء في مقابلة مجلة الحوزة مع آية الله السلطاني بشكل مفصّل.

الإقامة في قم

توجه آية الله البروجردي إلى قم بعد خروجه من المستشفى فقوبل بحفاوة بالغة، وحطّ رحاله في قم. وكانت الحوزة العلمية فيها تدار من قبل ثلاثة من المراجع الكبار هم: السيّد صدر الدين الصدر، والسيّد محمد حجّت، والسيّد محمد تقي الخوانساري. ولكلّ من هؤلاء

ـ[59]ـ

مواصفات خاصّة. اضطلعوا بأعباء تلك الحوزة المهمة والفتيّة فيما بينهم بكل حزم وحكمة وتدبير وتولّوا شؤونها طيلة عشر سنوات، اعتباراً من سنة 1355 هـ (سنة وفاة آية الله المؤسس الحائري) حتى ما يقارب سنة 1364، وقد ذاقوا الأمرّين في تلك الفترة المظلمة من حكم رضا خان الأسود.

لقد كانت الحوزة العلمية في قم حوزة كبيرة يدرس فيها آلاف الطلاّب. وكان يزداد عددهم باستمرار بسبب الإتجاه الديني لدى الناس، والحرية النسبية بعد هروب رضا خان. وعاد إليها بعض الطلاب الذين كانوا قد تفرقوا بين مختلف القرى والمدن بسبب الإرهاب الذي كان يسود الأجواء.

وكانت هذه الحالة نفسها موجودة في حوزة مشهد مع فرق حيث أن هذه الحوزة قد أفل نجمها تماماً بعد كارثة مسجد «گوهرشاد»، ولم يبق فيها إلاّ عدد قليل من الطلاب، حيث أبعد عامة العلماء والمدرسين أو أنهم عادوا إلى مدنهم، فلم يبق إلا عدد أصابع اليد من الطلاب القدماء.
وتعطلت المدارس العلمية غالباً، وكانت تسير نحو الدّمار، لولا أن الله فرّج عن الناس برحيل رضا خان، فافتتحت المدارس تدريجياً، واستعادت حوزة مشهد حياتها. وقد شهدتُ بنفسي تلك الأوضاع، وكنت أحد الطلاب الأول في مشهد بعد ثلاث سنين من الدراسة في حوزة النجف حيث أقمت فيها مع أبي الذي فر من يد رضا خان قاطناً العراق ولم يزد عدد الطلاب في حوزة مشهد حينئذ على سبعين طالباً.

وحتى سنة 1369هـ حيث انتقلت إلى قم، كانت الحوزة العلمية في

ـ[60]ـ

مشهد قد أصبحت حوزة لها شأنها وأهميتها. وذلك بفضل ما أولاه المدرسون والعلماء وعلى رأسهم آية الله ميرزا أحمد الكفائي الخراساني نجل الأستاذ الأكبر الآخوند الخراساني رحمهما الله تعالى.

أما الحوزة العلمية في قم، فبالرغم مما تعرضت له من نكبات قاتلة، ونتيجة للجو الإرهابي السائد الذي حدا بعدد كبير من الطلاب ترك الحوزة، ومزاولة العمل الإداري، أو العمل التجاري الحر، أو أنهم عادوا إلى مدنهم، بالرغم من ذلك كله، ظلت الحوزة محتفظة بهويتها بفضل الدور المشرّف

الذي أداه أولئك المراجع الثلاثة، وغيرهم من المدرسين الكبار مثل الإمام الخميني، وآية الله السيّد محمد الدّاماد، وآية الله الكلبايكاني وآخرين غيرهم. فدور هؤلاء العلماء في المحافظة على الحوزة وصيانتها في تلك الفترة العصيبة يستحق الثناء والتقدير.

وجميع أولئك العلماء اتفقوا على دعوة آية الله البروجردي، وقدّموا له المساعدات اللازمة. وكما قلنا سابقاً فقد كان اسم السيّد البروجردي معروفاً في قم قبل ذلك، وذاع صيته في كافّة الأوساط العلمية. فمن الطبيعي أن يستقبلوه استقبالاً رائعاً يليق بشأنه. وأن تقام له المجالس، وتلقى له الخطب الحماسية، وتنشر له القصائد الرائعة، وتعم الفرحة والبهجة، وينتعش الأمل، كلّ ذلك شكراً لله على مجيء ذلك السيّد الكبير إلى قم ليرفد حوزتها بحياة جديدة. وكنت أنا وغيري من الطلاب في حوزة مشهد نحمل نفس الشعور. وكنا نتطلع إلى مستقبل زاهر للحوزات العلمية بزعامة هذا الأستاذ الكبير.

كان دخول سيّدنا البروجردي قم عصر يوم الخميس 26 صفر

سنة 1364 هـ وكان أهالي بروجرد لا يزالون يصرون على عودة السيّد إليهم بيد أن أصواتهم هذه المرة لم تصل إلى مكان، ولم يرجع السيّد إلى مسقط رأسه قط.

كان سيّدنا البروجردي يقيم صلاة الجماعة في الصحن الكبير لحرم السيّدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر ـ عليهم السلام ـ حيث حل محل آية الله الصدر الذي ترك الصحن احتراماً له. وكان يلقي دروسه في الفقه والأصول هناك، وفي مسجد (بالأسر)، وأحياناً في المدرسة الفيضية، ومسجد (عشق علي)، وكان يحضر تلك الدروس جميع المدرسين الكبار في الحوزة إلاّ المراجع الثلاثة المذكورين وقليل من الآخرين ومن هؤلاء المدرسين الكبار: الإمام الخميني، والسيّد محمد الداماد وأنا بنفسي كنت أرى هذين العالمين الجليلين حتى السنة الأخيرة من حياة سيّدنا البروجردي يحضران حلقات درسه فقهاً وأصولاً. وسأتحدث لاحقاً عن تلك الدروس. علماً أن ذينك العالمين كانا يحضران جلسة استفتائه أيضاً ويعاضدانه مع غيرهما من المدرسين الكبار في أعماله الثقيلة التي كانت على عاتقه كمرجع عام للشيعة الإمامية.

السفر إلى مشهد

سافر سيّدنا البروجردي إلى مشهد في صيف تلك السنة هرباً من جو قم القائظ، فاستقبله أهالي المدينة ولاسيما العلماء والطلاب استقبالاً حاراً. وشاركت أنا شخصيا في مراسم الاستقبال، وأنا طالب

ـ[62]ـ

يافع في المرحلة الوسطى من الدراسة الحوزوية، فذهبت مع المستقبلين مسافة ثلاثة فراسخ عن المدينة حتى مقام «الخواجة أبي الصلت» ورأيت بنفسي كيف أن العلماء من الطراز الأول في مشهد كانوا يكنّون له عظيم الاحترام والتقدير مثل المرجع الكبير آية الله السيّد يونس الأردبيلي، وآية الله الكفائي وغيرهما. أقام السيّد في بيت موقر لتاجر يُدعى: (كوزه كناني). وكنت أزوره في الزائرين في ذلك البيت باستمرار. وكان معه عدد من مدرسي الحوزة العلمية في قم، ومنهم: آية الله الداماد، وآية الله الشيخ مرتضى الحائري.

قضى السيّد ثلاثة أشهر في مشهد هي رجب، وشعبان، ورمضان وكان يقيم صلاة المغرب والعشاء جماعة قبل شهر رمضان في مقصورة مسجد (گوهرشاد) أما صلاة الظهر والعصر في شهر رمضان فكان يقيمها في رواق المرحوم آية الله النهاوندي. وكانت صلاة الجماعة ليس لها مثيل حيث كان يشترك فيها الشيخ النهاوندي نفسه مع كبر سنه، والعلماء من الطراز الأول في مشهد، وأئمة الجماعة في أحياء المدينة، وعدد كبير من علماء المدن، ومدرسو الحوزة العلمية في قم. فكان الصف الأول والثاني مخصوصاً لهؤلاء المذكورين وصلاة بهذه المواصفات لم يكن لها مثيل.

وأقام في نفس ذلك المكان صلاة العيد (عيد الفطر). وارتقى المنبر لإلقاء خطبة الصلاة بيد أن صوته كان لا يتجاوز الجالسين قريباً من المنبر.
ووقعت حادثة لمعارضته في المكان الذي يصلي فيه، أتجنب ذكرها هنا.

ـ[63]ـ

قيل بأن ذلك الاحترام الفائق الذي أبداه المرحوم النهاوندي للسيّد، مع زهده ومنزلته المرموقة، أفضى إلى أنه عندما تشرف بزيارة العتبات المقدسة في العراق، تواضع له المرجع الكبير آية الله العظمى السيّد ابو الحسن الإصفهاني، فأخلى له مكان صلاته في صحن الإمام علي ـ عليه السلام ـ وقيل للمرحوم النهاوندي في عالم الخلسة وهو جالس على سجادته في الصحن: (إحترمت ولدنا فاحترمناك)، وعندما عاد إلى ايران، نقل هذه الحادثة العجيبة إلى آية الله البروجردي في قم.

ذكرياتي الخاصة بهذه السفرة

أحتفظ بذكريات كثيرة حول هذه السفرة، وذلك لملازمتي المستمرة لآية الله البروجردي وحبّ الاستطلاع الذي أحمله بين جوانحي. إنّ إحدى هذه الذكريات تتعلق بعمل علمي وثقافي محمود يخصّ فهرس المكتبة المركزية للآستانة الرضوية المقدسة. إذ كان القائمون على هذا العمل قد أعدوا ثلاثة أجزاء من الفهرس للمكتبة، في حين ظلّ القسم الأعظم من المخطوطات دون فهرسة. وبعد زيارة قام بها سيّدنا البروجردي للمكتبة، أصدر أوامره لنائب متولي الآستانة الرضوية المقدسة آنذاك لإنجاز ذلك المشروع الكبير وإعداد فهرس تام للمكتبة بأسرع وقت، وأكد عليه أن يرى نموذجاً منه وهو لا يزال في مشهد. وظل يتابع هذا المشروع بصورة منتظمة عدة سنين.

ذهبت إلى قم سنة 1369 هـ لمواصلة الدرس، وكنت أتردد على مشهد في فصل الصيف. وفي إحدى سفراتي بَشّرني العاملون في

المكتبة بطبع الجزء الخامس من الفهرس، فأخبرت سيّدنا البروجردي بذلك في قم (لا زال العمل بهذا المشروع قائماً، وبلغ عدد الأجزاء أكثر من عشرة. ولابد أن نعدّ هذا المشروع من ذكريات ذلك الرجل العظيم وبركاته). وعندما أخبرته، قلت: الجزء الخامس، فقال: الجزء الرابع، وهكذا تبادلنا الحديث حول هذا الموضوع، فاتضح لي أنه كان يواكب العمل بدقة، ويضبط تعداد الأجزاء.

ظفر السيّد في سفرته هذه بنسخة من كتاب الرجال للشيخ الطوسي كانت موجودة في مكتبة الآستانة. وكان قبل ذلك يفيد من «رجال المامقاني» في أعماله العلمية والرجالية، فجعل منقولات المامقاني في مجموعة واحدة، فهيّأ لنفسه «رجال الشيخ الطوسي». بعد ذلك طابق كتابه مع تلك النسخة، فتطابق معها إلاّ في بعض المواضع. هذا نموذج من جهوده المضنية في طلب العلم، ولاسيما علم الرجال الذي كان صاحب مدرسة فيه وسأتعرض إلى ذلك لاحقاً.

ومن ذكريات تلك الفترة أنه تشرف لدى وروده مشهد بزيارة الحرم الرضوي الشريف بمعية عدد من العلماء والمستقبلين، فشاهد أحد الزوار يقبل عتبة الروضة الرضوية المقدسة، فامتعض من هذا العمل احتجاجاً «بأنه يصبح ذريعة بيد الآخرين لاتهامنا بأننا نعبد الإمام ونسجد له، ونحن بالفعل متّهمون بذلك مع أنّا لا نقوم بهذه الأعمال، فكيف إذا قمنا بها وشاهدها الآخرون. إذن لا نستطيع أن نبرىء أنفسنا مهما أتينا بالدليل.» فرحّب المتدينون الواعون المنفتحون بكلامه هذا في حين لم يستسغه المتنسكون التقليديون. بيد أنه ـ على كلّ

حال ـ أصبح منطلقاً فكرياً للعلماء، وشاع خبره في كلّ مكان.

ثمة شيء آخر مماثل لذلك، حدث في ذكرى ميلاد الإمام الحسين عليه السلام حيث أقامت الهيئات الدينية للإمام الحسين عليه السلام ـ وكانت ذات نظام خاص في مشهد لا يوجد في غيره ـ مجلساً فخماً في بيت كبير كان سابقاً لنائب متولي الآستانة، الواقع في محلة (چهار باغ) والذي تحول إلى حسينية باسم (حسينية الرضويين) حالياً، أقامت الهيئات ذلك المجلس بشكل جماعي، لكي يقوم السيّد بزيارتها ويطّلع على أعمالها ونشاطاتها. وكان العلماء الكبار وجمع من الطلاب والفضلاء والوعاظ حاضرين في ذلك المجلس، فارتقى أحد الوعاظ المنبر، وتطرق إلى ذكر مناقب الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ ومما قاله «أنّ قماط الإمام رفع إلى العرش فوضع الله يده على رأسه».

كنت جالساً إلى أحد الجدران على بُعد أمتار عن آية الله البروجردي، وهو كان جالساً إلى جدار آخر فسمعت همسات من الجالسين حوله. وبعد لحظات قام المرحوم آية الله الميرزا علي أكبر النوقاني صاحب كتاب (ثلاث مقالات)، وكان من العلماء البارزين المتكلمين، وكثير الملازمة للسيّد الأستاذ في تلك السفرة، قام وخاطب المتحدث الذي كان يُدعى: «مُدقق» قائلاً: «سماحة السيّد البروجردي يقول: ليس لله يد فوضح للناس أنّ المقصود من اليد هنا هو الرحمة والعناية الإلهية الخاصة.» فلم يخجل المتحدث، وتفاعل مع الموقف قائلاً: يا سلام! لقد استفدنا، يقول سماحة السيّد: ليس لله يد، والمقصود هو العناية الإلهية بالإمام الحسين، عليه السلام.

فمثل هذه اللفتات، وردود الفعل تعكس حسن المتابعة والإستطلاع، والنظرة الواقعية، والصراحة التامة، وروح الدعوة إلى الاصلاح، التي كان عليها سيّدنا البروجردي، بالرغم من أن المتحجرين لا يستسيغون ذلك.

ذكرى أخرى، في عصر يوم من الأيام أقام عدد من المدرسين، والطلاب مجلساً في مدرسة «سليمان خان» التي كانت مركز الحوزة تقريباً، وكانت تحت إشراف زعيم الحوزة آنذاك المرحوم آية الله الميرزا احمد الكفائي الخراساني نجل الآخوند الخراساني. أقاموا ذلك المجلس تكريماً للسيّد البروجردي حيث يأتي لزيارتهم وحضره العلماء البارزون في المدينة، وعدد كبير من طلاب مشهد، وجمع من فضلاء قم والمدن الأخرى.

كنت حينئذ طالباً يافعاً، ناعم العود، مشغولاً في دراسة «الكفاية» بينما كنت جالساً هناك، فوجئت بالمرحوم الشيخ حسين البجستاني مساعد آية

الله الكفائي في إدارة شؤون الحوزة، وقد أخذ بيدي منطلقاً بي صوب سماحة السيّد الكبير قائلاً له: «هذا الطالب ابن الشيخ مهدي الواعظ، وهو أحد طلاب المدرسة. نرجو من سماحتكم أن تسألوه.» بعد ذلك جلست أمام السيّد، وكان يجلس حواليه عدد من مدرسي مشهد وقم، منهم: أستاذنا في درس (الكفاية) المرحوم آية الله الشيخ هاشم القزويني، وكان أستاذاً حاذقاً، فصيح البيان ذا فكر نيّر.

سألني آية الله البروجردي: ما تدرس؟ قلت: الكفاية. أي مبحث؟ قلت: مبحث النواهي. عرّف النهي. قلت: العلماء ـ عادةً ـ يقولون بأنّ

ـ[67]ـ

النهي هو طلب ترك الفعل، بيد أن أستاذنا سماحة الشيخ هاشم القزويني يقول: الصواب هو أنّ النهي ليس طلباً بل زجراً، وردعاً عن الفعل. فهو يقابل الأمر تماماً.» لمّا بلغت هذه النقطة، ارتفعت الأصوات والهمسات من المحيطين به. فظهر لي فيما بعد أن رأيه يطابق رأي أستاذنا القزويني، وكان قد طرحه في دروسه. بعد مضي لحظات كان يتباحث فيها الجالسون، وأنا كنت جالساً أمام السيّد العظيم مصغياً لهم سمعي، قال لي: حسناً، تفضّل. فقمت وعدت إلى مكاني.

ومن ذكرياتي الأخرى في هذه السفرة، زيارة قام بها السيّد البروجردي لوالدي المرحوم الشيخ مهدي الواعظ الخراساني في ليلة من ليالي شهر رمضان. وكان والدي قد أخبر المرحوم آية الله السيّد يونس الأردبيلي سلفاً بهذه الزيارة. فلا أنسى تلك الليلة حيث جلس المرجعان الكبيران جنباً إلى جنب وسط فناء دارنا والجو حار. كان المرحوم الأردبيلي ينقل كرامة بلهجته التركية، والسيّد يصغي إليه. بعد ذلك قاما وذهبا من بيتنا إلى الشارع ماشيَين، ومعهما أحد الخدم يحمل لُكساً للإضاءة واصطحبتهما لأخذ اللُّكس.

«وقال له بعض من معه: نجل الشيخ الواعظ يسير خلفنا» فالتفت السيّد وطلب مني الرجوع. فوقفت قليلاً حتى ذهبا. بعد ذلك أخذت اللكس ورجعت إلى البيت.

ذكرى أخرى، ذهب السيّد ذات يوم لزيارة المرحوم آية الله الشيخ محمد رضا الكلباسي (أحد علماء مشهد، ومن زملاء سيّدنا البروجردي في إصفهان. كان يقول ـ كما مرّ بنا ـ: أنا دعوته إلى درس

ـ[68]ـ

الفلسفة، وكان يشكرني حتى آخر حياته) وكنت جالساً في غرفة أخرى فلم أر السيّد، بيد أني كنت أسمع حديثه إذ كان يقول: «لقد ألّف الشيخ الطوسي كلّ كتاب من كتبه الفقهية لهدف خاص، فألّف «النهاية» للوسط

الشيعي أما «الخلاف» و«المبسوط» فقد ألفهما للوسط الإسلامي العام.» وكان يشرح هذا الموضوع. وشهدته مراراً ـ بعد حضوري درسه في قم ـ يُثني على الشيخ الطوسي، ويعبّر عن ودِّه للشيخ واهتمامه بشخصيته.

لم أعهد من ذي قبل أن طالباً يافعاً مثلي يألف هذا اللون من التبحّر العلمي والفكر الإصلاحي الذي يدل على ذهنية وقّادة متفتّحة ومعلومات غزيرة ومن ثم قد أحدث كلامه وكلام غيره من الأساتذة الكبار بقم ثورة في فكري وأفكار الطلاب الآخرين، وهو ما سأتحدث عنه لاحقاً.

عاد سيّدنا البروجردي إلى قم عند انقضاء شهر رمضان بعد إقامة صيفية مؤقتة قضاها في مشهد عام 1365هـ.

المرجعية العامّـة

عُرف سيّدنا البروجردي كأحد مراجع التقليد لأتباع أهل البيت عليهم السلام وهو لا يزال في بروجرد. وكان له مقلدون فيها، وفي غيرها من المدن. أما المرجعية العامة فقد كانت للمرحوم آية الله السيّد الإصفهاني نزيل النجف، وبمستوى أقل للمرحوم آية الله القمي نزيل كربلاء. في أواخر سنة 1365 هـ ق مرض السيّد الإصفهاني مرضه الأخير الذي انتشر خبره، والذي طال به حتى فاضت روحه الطاهرة ليلة عرفة من تلك السنة في الكاظمية. فأحدثت وفاته ضجة، وألقى خبر الوفاة ظله على جميع أخبار العالم الإسلامي أياماً حيث سلّطت الأضواء عليه دون غيره.

عدل معظم مقلّدي السيّد الإصفهاني إلى سيّدنا البروجردي. أما آية الله القمي، فإنه انتقل إلى النجف بعد وفاة السيّد الإصفهاني، وكان يعد من المراجع الكبار بيد أنه لم يلبث أن التحق بالسيّد الإصفهاني بعد أقل من ثلاثة أشهر على وفاته. وبموته انتقلت المرجعية العامة إلى آية الله البروجردي. بالرغم من وجود مراجع آخرين في النجف الأشرف، مثل: آية الله الحكيم، وآية الله الشاهرودي، وآية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي وآخرين غيرهم. وكذلك وجود المراجع الثلاثة المذكورين آنفاً وغيرهم في قم، ولكل واحد من هؤلاء مقلِّدون. أما شخصية آية الله البروجردي فإنها كانت متميزة تماماً. لاسيما وقد أُشيع بأن المرحوم الإصفهاني قد أرجع احتياطاته إلى السيّد

ـ[70]ـ

البروجردي وهذا العمل ـ وفقاً للتقاليد ـ كان يعتبر بمثابة ترشيح للمرجعية.

لقد كانت العلاقات التي تربط ذينك الفقيهين والمرجعين الكبيرين طيبة وودية للغاية. وذكرت سلفاً ألفتهما عندما أقام سيّدنا البروجردي فترة في النجف وهو في طريقه إلى حج بيت الله الحرام. وفي بروجرد، بالرغم من أنه كان مرجعاً، بيد أنه كان يدعم مرجعية السيّد الإصفهاني ووصله ذات يوم رسالة من تبريز طلب فيها أصحابها من سيّدنا البروجردي رسالة علمية. فأجابهم بأنّ عَلَم الإسلام اليوم بيد آية الله الإصفهاني، وما عليكم إلاّ البقاء على تقليده. ونقل لي أنّ فتاوى السيّد الإصفهاني كانت تطرح بحضوره في خلال صلاة الجماعة، فكان يجلس ويصغي وينبّه المتحدث أحياناً عندما ينقل الفتوى خطأ، ويقول له: السيّد لا يقول هكذا، بل يقول هكذا، وينقل فتواه.

قام والدي في النجف الأشرف خلال السنوات الأخيرة من الحكم الإرهابي لرضا خان. وكان مستأنساً كثيراً بآية الله الإصفهاني وطالما كانا يختليان للتحدث فيما بينهما. وأحياناً كنت أجلس في زاوية الغرفة. نقل والدي أنه أخبر السيّد الإصفهاني في أحد تلك اللقاءات بخلو مشهد من المجتهدين الكبار، وأن الذين فيها لا يصلحون لسبب من الأسباب لذلك. واقترح عليه أن يرسل شخصاً جديراً يسد ذلك الفراغ فطلب منه السيّد أن يعرّف أحداً. فقال له والدي: على سبيل المثال، الشيخ محمد علي الكاظمي (صاحب التقريرات). فقال له السيّد، وهو يشيرأن المذكور لا يصلح أن يكون فارس الحلبة، كما لا يتسنى له أن يصمد أمام

ـ[71]ـ

الآخرين، لو ذهب آقا حسين البروجردي إلى مشهد، فإن ذهابه حسن ومفيد للغاية (وكان سيّدنا البروجردي في بروجرد آنذاك).

لقد تأثّر المرحوم البروجردي تأثراً بالغاً بسبب وفاة السيّد الإصفهاني وبكى لفقده. واجتمع عنده في الساعات الأولى من سماع الخبر علماء قم وطلابها وعامة الناس، وأخذوه إلى الصلاة بكل تكريم وتبجيل معلنين مرجعيته بهذا العمل.

وضع الحوزة العلمية في قم آنذاك

كانت الحوزة العلمية حتى ذلك الحين تعاني من التبعية المالية حيث لم تكن مستقلة من هذه الناحية. وقد يصادف أحياناً أن يوزع وكيل المرحوم الإصفهاني في طهران، وهو العالم الوجيه «الحاج آقا يحيى السجادي» مبلغاً من المال بين الطلاّب. فكانت إمكانيات المراجع الثلاثة، وكذلك إمكانيات سيّدنا البروجردي قبل مرجعيته العامة، محدودة ولكن بعد ذلك تدفقت الحقوق الشرعية على قم، فنعمت الحوزة بالاستقلال المالي، والرفاه المادي أكثر من ذي قبل.

كان عدد الطلاّب يتضاعف باستمرار لا سيما بعد (شهريور 20) عام 1361هـ إذ ولّى الظلام وأسفر الصبح وعادت للدين كرامته ومنزلته فاستأنفت الحوزات العلمية حياتها واتسعت قاعدتها. ومما آزر هذا الأمر خشية الناس من انتشار الشيوعية، فكان العلماء والمتدينون من الناس يرون في دعم الحوزة وتوطيد أركانها أفضل طريق للحيلولة دون ذلك الخطر الداهم. كان عدد الطلاب في الحوزة حين قدم سيّدنا البروجردي

إليها ألفين تقريباً، أما عند وفاته فكان عددهم يناهز ستة آلاف. وهذا مؤشر جيد على تقدم الحوزة وتطورها كمياً.

أما من حيث النوعية فقد تغير وضع الحوزة تماماً، فكان بين الطلاّب، عدد كبير من المثقفين والدارسين في المدارس الرسمية والجامعات. ومن العوامل التي أثّرت على تطوير الحوزة نوعياً، وأفضت إلى تعرّف الطلاب على الثقافة الإسلامية الجديدة: الظروف الزمانية، والأساليب الجديدة في كفاح التوجّهات العلمانية والشيوعية، والتطور الحاصل من جراء المحاضرات الدينية التي كان يلقيها اثنان من الوعاظ والخطباء المشهورين، وهما: الشيخ الفلسفي، والمرحوم الشيخ راشد، وآخرون غيرهم ومطالعة الطلاب المجلات والصحف، والكتب الإسلامية الصادرة في مصر، ووجود عدد من الكتاب البارزين بين علماء الشيعة من أمثال: المرحوم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والسيّد هبة الدين الشهرستاني والعلامة الأميني صاحب الغدير، وآخرين غيرهم في العراق. والعلامة السيّد محسن الأمين العاملي، والعلامة السيّد عبد الحسين شرف الدين في بلاد الشام ولبنان. وعدد من العلماء من أصحاب الأقلام مثل المرحوم الميرزا خليل كمره اي في ايران. وقد لمست بنفسي تأثير هذه العوامل إبان دراستي، أي من سنة 1358 هـ ق فما يليها وكنت أحد أولئك الطلاب الذين تأثروا بتلك العوامل.

مضافاً إلى ذلك، فانّ هناك عوامل أخرى كان لها تأثير كبير على تربية الطلاب وإعدادهم، مثل الأفكار الإصلاحية الوضّاءة لآية الله البروجردي، وغيره من العلماء والمدرسين الكبار، من نحو: آية الله

الصدر، وآية الله الخوانساري، وآية الله الكاشاني، ومن بعدهم، سماحة الإمام الخميني، والمتكلم المناضل المتنوّر المرحوم الميرزا محمد تقي الإشراقي. مضافاً إلى ذلك كما سنذكر لاحقاً، تميّز آية الله البروجردي بمبادئه وأسسه الخاصة في الأصول والفقه وعلم الرجال مما يرغم الطلاب ـ لا محالة ـ على المطالعة والمتابعة، ومن ثم ليُحدث تطوراً في أفكارهم العلمية.

ومما أثّر على إحداث ذلك التطور الفكري: قُرب قم من طهران، وتردد الطلاب على العاصمة، واحتكاكهم بالمفكرين، وأساتذة الجامعات، والسياسيين، ورجال الحكومة، والشخصيات المطلعة العاملة في السوق.

في ضوء ذلك كله، تبدلت تلك الحوزة الجامدة الضعيفة بحوزة ناشطة فاعلة حية في غضون بضع سنين. وفي أيام محرم وصفر والمناسبات الأخرى، كان الطلاب الشباب، من المتنورين والمطلعين على متطلبات العصر، يتوجهون إلى المدن الأخرى للتبليغ. وخلال ممارستهم التبليغ كانوا يحظون بانشداد الناس إليهم وإقبالهم عليهم. وإذا ما عادوا من هذه المهمة الكبيرة كانوا يحملون معهم ثناء الناس وشكرهم وتقديرهم. وبعد عودتهم تنهال رسائل وبرقيات الثناء والتقدير من شتى أنحاء البلاد على آية الله البروجردي والعلماء الآخرين مما يبعث على تشجيعهم وتحفيزهم وبعث الأمل في نفوسهم.

وكان آية الله البروجردي نفسه يرتقي المنبر بعد الصلاة في بروجرد. وفي قم أيضاً، حيث كان يتصدى بين حين وآخر للوعظ

والإرشاد بعد الدرس. فكان له باع في فن الخطابة. ويرغب أن يتعرف الطلاب عموماً على هذا الفن. سمعته ذات يوم يقول: «إن إحدى ميزات الحوزة في قم بالقياس إلى حوزة النجف الأشرف هي أن الطلاب هنا غالبا يستطيعون ارتقاء المنبر للحديث.» لذلك كان يشجع أمثال هؤلاء الطلاب. ويرسل عدداً منهم للتبليغ.

مضافا إلى ذلك، ظهر بين الطلاب عدد من الكتاب كانوا ينشرون نتاجاتهم في الصحف والمجلات الصادرة في العاصمة، وفي مجلة «نور دانش» (نور العلم)، و«آيين إسلام» (منهج الإسلام)، وصحيفتي: «پرچم إسلام» (لواء الإسلام)، و«جهان إسلام» (دنيا الإسلام) وبعض الصحف الرسمية الصادرة مثل: «اطّلاعات».

وأخيراً، هؤلاء الكتاب أنفسهم، أصبحوا هم السبب في صدور مجلة «مكتب إسلام» (مدرسة الإسلام) وكنتُ أحدهم. وهذه القضية لها قصة طويلة. وكان عدد من الطلاب يصدرون مجلة «مكتب تشيع» (مدرسة

التشيّع) ومن بينهم: سماحة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، والشهيد الدكتور مفتح. وفي مجلة «حكمت» الحكمة في قم كانت تنشر نتاجات عدد من العلماء الفضلاء في قم، امثال: الشهيد مطهري، والسيّد أحمد پيشوائي، والشيخ آذري القمي وآخرين غيرهم، وأحياناً كانت تنشر نتاجاتي. وأخيراً بلغ تطور الكتابة في حوزة قم درجة حازت فيه (كتاب السنة) لعامين متوالين.

الإصـلاحات في الحـوزة

كما نعلم فإنّ الحوزات العلمية كانت تشكو في السابق من عدم وجود الامتحان، والمرحوم البروجردي نفسه كان يتأوّه بسبب الفوضى التي تسود أجواء الحوزة، وعدم وجود المسؤولية. فعمل في البداية على تعيين بعض المدرسين مسؤولين عن امتحانات الطلاب، وألزم الطلاب الاشتراك في تلك الامتحانات، وحصر التمتع بامتيازات الحوزة بالامتحانات نفسها. وها نحن نلحظ الاستمرار في هذا العمل بشكل أدقّ بعد مضي سنين على الشروع به. وعندما كان سيّدنا البروجردي أراد أن يشرط دفع رواتب الطلاب بالامتحان، في حوزة النجف تمت مقاطعة الامتحان من قبل أحد علماء النجف، فلم يطبّق.

وكان سيّدنا البروجردي يُولي عنايته بحسن الخط، والإملاء، والإنشاء الصحيح. وحاول أن يدخلها مع المواد الدراسية في الإمتحان. وإذا ما رأى من أحد خطاً جميلاً، فإنه كان يفيد منه في أعماله العلمية الخاصة، كما لاحظنا ذلك عندما كلف حجة الإسلام الميرزا حسن النوري ـ وهو ما سأذكره لاحقاً ـ بإعادة تدوين كتابه في الرجال وتنظيمه. وذلك لما رآه من خطه الجميل. وإذا ما شاهد السيّد البروجردي طالباً شاباً يحفظ «ألفية ابن مالك»، فإنه كان يشجعه ويكافئه.

وكان يراعي ـ في دفع الرواتب ـ درجات الإيمان والفضيلة والخلفية العلمية للطلاّب. ومضافاً إلى الرواتب الاعتيادية، فإنه كان يمنح

الصفوة من الطلاب امتيازات إضافية. وكان يساعدهم بشكل منظم أو غير منظم. وأنشأ ـ إلى جانب مكتبه العام ـ مكتباً يدعى: مكتب (حسب الأمر) خصيصاً لأمثال هؤلاء الطلاب، والأسر العلمية والأشخاص الذين كانوا موضع عنايته وعطفه. وعندما كان يعود الطلاب من التبليغ، ومعهم حقوق شرعية لسيّدنا البروجردي، فإنه كان يعطيهم قسماً منها، وأحيانا كان يعيدها لهم كما هي. وكان يسمح لوكلائه في مختلف المناطق أن يأخذوا مقداراً من الحقوق لمعيشتهم، أو لإدارة شؤون الحوزة والمبلغين والعلماء المحليين في مناطقهم. وقد صادف أحياناً أن تُصرف جميع حقوق المنطقة للمنطقة نفسها.

وكان سيّدنا البروجردي يعارض الفوضى السائدة في الحوزة. ويمتعض من الطلاب الذين يعملون على الإخلال بالنظم والهدوء بسبب تحركاتهم السياسية وغيرها. فكان ينصحهم ويعظهم، وأحياناً يحذرهم.

أتذكر إبان قدومي إلى قم، أن عدداً من المدرسين الكبار ضمنوا موافقته على تنفيذ مشروعه الإصلاحي في المدرسة الفيضية. بيد أنه عزف عن ذلك فيما بعد بسبب الغموض الذي يكتنف ذلك المشروع. مما أفضى ذلك إلى انزعاجهم وانقباضهم، ومن ثم تنحّيهم عن العمل مما يطول شرحه وجاء شطر منه في كلام آية الله السلطاني في مجلة الحوزة.

إذا تعرض الطلاب والمبلِّغون إلى مشكلة أو مضايقة من قبل شرطة قم، أو من قبل الحكومة المركزية، أو من قبل الجهات المختصة

في المدن الأُخرى، فإنه كان يسعى لرفع تلك المشكلة أو المضايقة، وما لم ترفع، لم يهدأ باله ولم يستقر. فكان يتابع أوضاع الطلاب بدقة، وحتى أنه كان مطلعاً على منهج التفكير عند بعض الفضلاء المشهورين. فكان يوجه نصائحه بين حين وآخر في جلسة الدرس أو في أوقات العطلة الحوزوية، وينبه الطلاب على واجباتهم الخطيرة.

إيفاد المبلغين خارج البلاد

يشكّل إيفاد المبلغين خارج إيران واحداً من المشاريع الإبداعية لسيّدنا البروجردي في حقل التبليغ والإعلام الإسلامي. فأوفد ـ لأول مرة ـ عدداً من المبلغين، منهم: المرحوم (محققي رشتي) الذي كان متميزاً خَلقاً وخُلُقاً ومعرفة وعِلماً باللغة والعلوم المعاصرة، أرسله إلى المانيا. أقام هذا الرجل في هامبورغ، فشيّد مسجداً فخماً فيها، وأقرّ نظاماً معيناً للعمل. وواصل نشاطه حتى وفاة السيّد البروجردي. وكم سمعتُ من السيّد، ومن الشيخ محققي نفسه، سرور السيّد وابتهاجه بعمل مُوفده

وثنائه عليه. حتى أنه هيّأ له سيارة شخصية، وأوصى أن يعيش معززاً مكرماً. وسمعته مرة يقول: «إن مؤونة الشيخ محققي باهظة، بيد أني أراه يعمل ويفيد، لذلك أتحمّل ذلك.»

من المؤسف ان الشيخ محققي لم يواصل عمله هناك بعد وفاة سيّدنا البروجردي، فعاد إلى إيران. وبما أن مركزية العمل معدومة في الحوزة، لذلك بلغت به الحال أن مد يد العوز إلى المراجع الآخرين، وأخيراً لم يفلح في مواصلة العمل، فأجبرته الظروف المعيشية القاهرة أن يعمل في بيع الكتب إلى أن وافاه الأجل، وهو على تلك الحال. وكم

كان يتململ ويتضجر لانعدام النظام في الحوزة.

بعد مضي سنين على الانقطاع، أوفد الشهيد الدكتور بهشتي إلى هامبورغ من قبل بعض المراجع حينئذ. وبعد معاناة طويلة، استطاع ان يعيد نظام المسجد ثم عاد إلى ايران، وذهب بعده سماحة الشيخ «شبستري» الذي كان يدير شؤون المسجد لسنين. أما الآن فإن أفراداً آخرين مشغولون بالعمل والتبليغ هناك منهم حجة الإسلام محمود أنصاريان. على أي حال، فان مسجد هامبورغ يظل معلماً تذكارياً لذلك الرجل العظيم، ومنطلقاً مهماً لنشر الإسلام والتشيع، وخندقاً أميناً للثورة الإسلامية، وركيزة أمل للطلبة الجامعيين المسلمين من الإيرانيين وغيرهم في أوروبا. ومنه انطلق الشهيد الدكتور بهشتي لتوسيع رقعة نشاطاته الإسلامية والسياسية لتشمل سائر الأصقاع في القارة الأوروبية، والتجمعات الطلابية. وهذا العمل ـ بحق ـ واحد من امتيازاته، في حين كان الشيخ محققي يحترز من كلّ تحرك ثوري مما أدّى إلى تذمر واستياء بعض الطلبة الجامعيين، والعناصر الثورية.

وما عدا هامبورغ، فان المحطة الأخرى للتبليغ هي واشنطن. حيث كان سيّدنا البروجردي يبحث عن شخص مناسب يوفده هناك فوقع اختياره ـ آخر الأمر ـ على الأستاذ الكبير الشيخ مهدي الحائري اليزدي، الابن الثاني لآية الله الشيخ عبد الكريم الحائري، مؤسس الحوزة العلمية في قم. وبالفعل، سافر الشيخ إلى هناك، وتصدى لمزاولة النشاطات الإسلامية. بعد وفاة سيّدنا البروجردي، ورفض أن يكون وكيلاً لمرجع آخر، وظل يتردد بين إيران واميركا. وزاول التدريس في الجامعات الأميركية إلى سنين.

كان سيّدنا البروجردي ـ من الناحية الاجتماعية ـ يفكر بالناس عموماً وبالمسلمين خصوصاً. وكانت تسره الممارسات الصحيحة لبعض الحكومات والأشخاص. وتزعجه الممارسات الخاطئة، فكان ينتقدها. سمعت أنه قد امتعض للغاية بسبب حظر زراعة الخشخاش(1)، ذلك الحظر الذي سبب أضراراً فادحة لأهالي بروجرد وبقية المناطق. وأعلن حظره لقانون الإصلاح الزراعي الذي سنّه الشاه المخلوع بما تهوى نفسه. وتبودلت إثر ذلك رسائل متعددة بينه وبين البلاط، رآها أحد العلماء المشهورين. ومن المؤكد أنّها لو كانت باقية، لشكّلت وثيقة مهمة من الوثائق التاريخية. وكان الشهيد المطهري ينقل أشياء على لسان ذلك العالم. لقد حمل هذا المشروع في البداية اسم (تحديد الملكية) وقد عارضه السيّد الأستاذ بسبب مخالفته للإسلام فاستبدلوه باسم (الإصلاح الزراعي). ولم يُطبّق مادام السيّد كان على قيد الحياة وبعد وفاته، كان يُشكّل أحد البنود الستة للشاه المقبور، وقد نفذ بصورة سيّئة للغاية، إذ لم يحمل معه إلاّ الدمار، وتخريب القرى والمزارع، ونزوح القرويين إلى المدن، وأخيراً تبعية البلاد للأجانب، ولاسيما أميركا في أكثر الحاجات المعيشية بما فيها الخبز واللحم.

كتب الشاه إليه في إحدى رسائله: نحن لا نستطيع أن ندّعي أننا مسلمون فقط في حين أن الإصلاح الزراعي وتقسيم الأراضي قد تحقّق في عدد من الأقطار الإسلامية!.

1ـ معلوم أن ذلك كان ناشئا عن كون زراعة الخشخاش في تلك الأيام وسيلة مهمة لعيش كثير من الناس فمنعتها الحكومة من دون ان تحلّ محلها وسيلة أخرى لهؤلاء الناس.

فأجابه السيّد ـ كما سمعت ـ بأن النظام الجمهوري قد تحقق أولاً في تلك الأقطار، ثم تلاه تقسيم الأراضي. فقال الشاه في وقتها: إن هذا السيّد واع للغاية.

وطالما كان يُذكّر الشخصيات الحكومية التي كانت تذهب لزيارته بعض الأحيان، ويؤكد عليهم الاهتمام بالناس، والفقراء. وينبه على النواقص الموجودة فلم يغفل لحظة واحدة عن التفكير بالناس. ومن بين

الشخصيات المعروفة التي كانت تتردد عليه بكثرة، مستشار الشاه، ورئيس الوزراء اللذين كانا يشكلان حلقة الوصل بينه وبين الشاه. طبيعياً، ولو كانت تلك المفاوضات والمحادثات الخاصة، وجميع تلك الرسائل المتبادلة بين السيّد الأستاذ وبقية المراجع والشخصيات في داخل البلاد وخارجها، مسجلة في دفتر خاص ومحفوظة في إرشيف معين، لكانت مفيدة نافعة في تدوين تاريخ الثورة الإسلامية، وتاريخ إيران بصورة عامة.

ففقدان التنظيم بين العلماء، وعدم وجود مركزية ثابتة أفضيا إلى تدمير مثل هذه الوثائق المهمة التي كان لها دور هام في حوادث كثيرة مثل: حركة التبغ، واستقرار الحركة الدستورية، وتقويض دعائم الملكية، وحوادث أخرى مماثلة وقعت أيام حكم الأسرة البهلوية.

النظريات السياسية للسيّد الأستاذ

في عقيدتي، ووفقاً لتشخيصي الذاتي، فإن آية الله البروجردي لم يفكر يوماً في تبديل النظام السياسي، وإقرار نوع من الحكومة

الإسلامية. كما كان يفكر سماحة الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ الذي كان يشغل باله أمر الحكومة طيلة عمره حتى فتح الله على يديه ذلك الفتح المبارك، فتحقق ما كان يطمح إليه. هذا بالرغم من أن تطورات العصر، وخلفيات سيّدنا الأستاذ في النجف وبروجرد وقم، قد أفادته في أن يلم بهذه الفكرة، ولعله كان يفكر بها مدة مديدة.

يبدو أنّ منهجه في العمل كمنهج أستاذه الآخوند الخراساني إذ يرتكز على نوع من الحكومة الدستورية الوطنية التي تمارس أعمالها بإشراف المراجع. فيظهر أنه كان يتفق مع النظام الملكي الدستوري المشروط بإشراف العلماء، هذا مع انه لم يتدخل شخصياً، بيد أن ممثلاً من الأسرة الطباطبائية كان موجوداً على الدوام في مجلس النواب، حتى في ذروة زعامته الدينية في بروجرد. وكان يعرف رجال الحكومة، ويُرجع كلّ عمل إلى شخص مناسب. بإيجاز، لم تكن له أية معارضة ضد الحكومة بالرغم من أنه لا يسكت أمام الحكومة في ما يمس الإسلام من الحوادث.

كان معروفاً عنه أنه يعتقد بأنّ الحكومة مالكة. وأنه لا يجيز تقاضي الرواتب منها إلاّ بشرطين: الأوّل: يجب أن يكون أصل العمل شرعياً بغض النظر عن كونه حكومياً. الثاني: يجب أن يؤدي الشخص عمله حسب العقد الصحيح، ولا يتخطى ذلك.

في الآن ذاته، كان رجلاً متحرراً، مناصراً للعمل الصحيح، متابعاً للسياسة، بيد أنه متحرّز للغاية ومتحفّظ في إبداء آرائه.

ـ[82]ـ

كان الشهيد مطهري ينقل عنه قوله: «بأننا يجب أن نخيف الحكومة بالكلام فقط، ولانتازلها عملياً بسبب عدم وجود المعدات والأدوات اللازمة لذلك، وسوف لن نفلح إذا ماناهضنا الحكومة.» وهذا ما جاء في كلام آية الله السلطاني في مجلة الحوزة بتفصيل أكثر. والخلاصة كان السيّد البروجردي من أهل المبادرات لا من أهل الثورات. ورجل الإقدام ولا القيام.

ونقل والدي مرّة أنه في إحدى سفراته إلى مشهد، اجتمع العلماء يوماً للتشاور والتفكير بحل معيّن لمواجهة عمل مشين مخالف للشرع، وكان سيّدنا البروجردي حاضراً. فقال أحدهم: «لا حل إلاّ أن نعطّل الصلاة»، وكان يصر على ذلك، فأراد السيّد أن يقول شيئاً، بيد أن ذلك الشخص كان يعيد كلامه مرات إلى أن تدخل العالم الكبير المرحوم الشيخ مرتضى الآشتياني رحمه الله، فقال: دعونا نسمع ما يقوله السيّد. فسكت الجميع، فقال السيّد الأستاذ مخاطباً ذلك الشخص: أنت تقول لا حل إلا أن نعطل الصلاة، فهل ياترى هذا هو الحل الصحيح حقيقة أو لا؟ فأخذ كلامه مأخذه من الحاضرين.

إن قصة اعتقاله، وبرقيته في دعم آية الله القمي، وإجراءات أخرى مماثلة، تحكي لنا الحس السياسي الذي كان عليه سيّدنا البروجردي كما أنه شارك شعوراً وعاطفة في حادثة تأميم النفط، وحكومة الدكتور مصدق. وكان يقول في الجلسات الخاصة التي كانت تعقد في وقت كان الشاه ضعيف النفوذ: «عندما كان الشاه قوياً، كنت أقول له كذا وكذا.».

أقام اليساريون في قم تجمعاً حاشداً لمناسبة عودة أحد العلماء

ـ[83]ـ

من مؤتمر أنصار السلام الذي عقد في فيينا آنذاك. فحدثت اصطدامات عنيفة بينهم وبين الطلاب والمؤمنين أدت إلى تدخل الشرطة وفتح النار على الناس حتى أُشيع بأن عدداً منهم قد لقي حتفه، فتوتر الوضع توتراً حاداً. وجاء من طهران وبقية المدن بعض علماء البلاط المزيّفين وناس آخرون من مختلف الشرائح الاجتماعية، فتجمعوا في قم تعاطفاً مع آية الله البروجردي بسبب الانتهاك الذي تعرّضت له حرمته فكانوا يطالبونه أن يقوم بمبادرة شديدة ضد حكومة مصدق إلى أن انكشف بعد ذلك أن هذه الخطة كانت من تدبير الشاه لتقويض حكومة مصدق على يد المرجعية. بيد أن سيّدنا البروجردي كان على علم مسبق بهذه الخطة، فأنهى تلك

الفتنة ولم يرتب أثراً على مطالب أولئك المتجمهرين من أجل القضاء على حكومة مصدق وجاء تفصيل الحادثة في كلام آية الله السلطاني وموقف آية الله البروجردي أمام حركة النفط فليُلاحظ.

سمعته مرة في تلك الأيام يقول في جلسة الدرس في مسجد (بالاسر): ليس عندي أي اعتراض ضدّ رئيس الوزراء، وقد اتصل بي هاتفياً رغم مشاغله، فقام بكل ما طلبته منه. وما على الطلاب إلاّ أن يهتموا بدروسهم، ولا يتابعوا هذه الحادثة. وعندما حضر علماء طهران ووعاظها في منزله سمعته، قال لهم: الحكومة على صواب. وعندما هرب الشاه من إيران، واستلم مصدق زمام الأمور ثانية، زاره أرباب المهن من سوق طهران لكسب تأييده لحكومة مصدق، فسمعت أنه قد أيّد مصدق شفوياً لا كتباً وعندما عاد الشاه، نشرت الصحافة رسالة له وجّهها إلى الشاه، يقول فيها: بما أني كنت أعلم أنك ستعود، لذلك لم

ـ[84]ـ

أبعث برقية إليك. فكان يبدو أنه يتحرز كثيراً في تلك الأيام، ويحتاط حيث لم ينكشف واقع الحوادث له تمام الانكشاف.

باللأسف، إن هذه الحوادث لم تسجل في مكان، ولعل الظروف السياسية في العهد الملكي البائد هي التي أدّت إلى عدم ذكرها والسكوت عنها. والآن ليس إلاّ عدد يسير فقط من خواصه لعلهم يعلمون هذه الأمور وملابساتها. وقد أوصد باب البحث والتنقيب تماماً بذهاب بعضهم، ولكي لا تضيع هذه الفرص، ينبغي كسب المعلومات من البقية الباقية منهم، ومن المؤكّد أنّ سماحة آية الله السلطاني عميد الأسرة الطباطبائية هذا اليوم هو أحدهم وقد تحدث ببعض القضايا في مجلة الحوزة، ولكن الأمور تحتاج إلى شرح أوفى.

ـ[85]ـ

الفصل الثاني: منهجه العلمي

الفصل الثاني:

منهجه العلمي

ـ[86]ـ

ـ[87]ـ

المنهج الفقهي والأصولي لآية الله البروجردي

إنّ المبادىء العامة لجميع بحوث سيّدنا البروجردي في علم الأصول تماثل ماعند أستاذه المرحوم الآخوند الخراساني صاحب «الكفاية»، ولا يخفى فقد كانت له نظرياته الخاصة في هذا المجال أيضاً. وبصورة عامة، فإن منهجه يتركز على تيسير المواضيع وتلخيصها، وتجنب فضول المباحث. وكان يقول: «كنت في إصفهان أراجع ما دونته من دروس الأساتذة في نهاية كلّ أسبوع، فأفصل المواضيع الإضافية التي لا علاقة لها بالبحث، ليتسنّى لي تحديد المباحث الأصولية. وعندما حضرت درس المرحوم الآخوند الخراساني في النجف، رأيتُ أنّ منهجه يتركز أيضا على تجنب الحشو وفضول الكلام والتمهيد لمقدمات كلّ بحث ـ كما هو شائع ـ. كان يطرح المسألة الأصلية في بداية كلّ بحث أصولي، ثم ينبري إلى ما يحوم حولها من تفاصيل». أجل، فإنّ كتاب كفاية الأصول، مع أنه لا يخلو من المواضيع الجانبية، ولاسيما بعض البحوث الفلسفية، بيد أنه في الوقت نفسه كتاب موجز ومركز للغاية،

وخال من الحشو وفضول الكلام إذا ما قيس بالكتب المتقدمة عليه زمنياً.

كان آية الله البروجردي يتجنب التعقيد واستعمال الألفاظ الحشوية في كلامه، ويحاول أن يُبقي علم الأصول في إطار اُسسه الأصلية، وكان يقول: «إن علم الأصول قد تورّم، والتورّم يغاير السمن» وكانت له آراء جديدة في بعض مباحثه الأصولية، منها:

1 ـ إنه يرى أنّ موضوع علم الأصول الذي خاضوا فيه كثيراً هو «الحجة في الفقه».

2 ـ وإنّ الشهرة المعتبرة هي الشهرة الفتوائية عند القدماء.

3 ـ وأنّ الإجماع على بطلان التصويب هو الإجماع في مسألة كلامية، وهو غير الإجماع المصطلح عند الفقهاء.

زاول أستاذنا في قسم تدريس المرحلة العليا في دراسة الكفاية من البداية حتى أواخر باب الاشتغال طيلة سبع عشرة سنة تقريباً. وقد دوّن طلاّب كثيرون، وأنا معهم، تلك المباحث التي كانوا يحضرونها. وقام عدد من الفضلاء بطبع تقريرات درس الأصول.

ولم يكن منهجه في درس الأصول نقل جميع الآراء ونقدها، بل كان كثيراً ما يوضح آراء أستاذه مضيفاً إليها رأيه الخاص.

أهمية فتاوى القدماء

كان منهج الإمام البروجردي في الفقه يختلف تماماً عن الآخرين. فقد تميز بإبداعاته الجمّة. وكان يهتم بآراء قدماء الشيعة وشهرتهم في

الفتوى. وكانت له رغبة في جمع فتاوى اثنين من الفقهاء الذين سبقوا الشيخ المفيد. وهما: الحسن بن أبي عقيل النعماني، ومحمد بن أحمد بن جنيد الإسكافي. وكان الأول معاصراً للشيخ الكليني (329 هـ)، والثاني معاصراً للشيخ الصدوق (381 هـ). وكانت فتاوى ذينك الفقيهين خاصة بهما غالباً، وتختلف عن فتاوى الآخرين. ولم يجمعها كتاب، بل هي موزعة في الكتب الفقهية الأخرى، ومنها كتاب (المختلف) للعلامة الحلي. وأنا ـ شخصياً ـ بدأت بجمع فتاوى ابن جنيد بناءاً على أمره، بيد أني لم أوفق لإتمامه. إلى أن تم جمع فتاوى الإثنين بإشرافي من قبل أحد طلاب الماجستير في فرع الفقه، لكنها لم تطبع. فقام طالب آخر من طلاب الأستاذ الإمام بجمع تلك الفتاوى وطبعها.

ويطلق على ابن أبي عقيل وابن جنيد: القديمان. وكان آية الله البروجردي يقول أحيانا: «لا نعلم كم هو مقدار الروايات التي كانت في متناول أيديهما». وذكروا عن ابن جنيد في الفهارس أنه كان يفتي بالقياس. ولعله اتُّهم بالعمل بالقياس لأنه وسّع دائرة الاجتهاد من حدود المسائل المنصوصة إلى المسائل الأخرى في وقت لم يكن هذا العمل متداولاً بين الشيعة آنذاك. وقد شرحت هذا البحث في مقدمتي بعنوان (حياة الشيخ الطوسي) على مجموعة عشرة رسائل للشيخ الطوسي فليلاحظ.

الفقه المتلقّى والفقه المشروح

يقسّم أستاذنا المسائل الفقهية إلى قسمين: الأول: المسائل

المتلقاة، وهي عبارة عن المسائل المأخوذة عن الأئمة نصاً، وهي مسائل مجملة وموجزة للغاية، وكان السيّد يشبهها برُزمة مغلقة. الثاني: المسائل

المشروحة، وهي عبارة عن المسائل التي وضحها الفقهاء فيما بعد، وفصلوا موضوعاتها.

وهذا التقسيم هو غير تقسيم الفقه إلى فقه منصوص وفقه تفريعي، الذي بدأ في الوسط الشيعي أيام الشيخ المفيد تقريباً، واتسع نطاقه بواسطة الشيخ الطوسي مؤلف كتاب «المبسوط» الذي يمثل دورة كاملة من الفقه التفريعي إلى جانب الفقه المنصوص.

إن قصد الأستاذ من تقسيمه هو أن المسائل الفقهية كانت تطرح موجزة ومجملة في البداية، مثلاً كان يقال: الكعبة قبلة. ثم بعد ذلك كان الفقهاء يشرحون هذه المسألة بقولهم أن الكعبة قبلة لأهل مكة، وأن جهة الكعبة قبلة للبعيدين عن مكة. أو إذا كانوا يقولون مثلاً: الملاك جهة الكعبة، بعد ذلك كانوا يوضحون هذا اللفظ، ما هو القصد من «الجهة»؟.

أما التقسيم الثاني فهو يبين في الحقيقة نوعين من الفقه: الأول: الفقه المنصوص الصادر عن الأئمة بدون تفريع، والثاني: الفقه التفريعي. وقد ذكر الشيخ الطوسي هذا الموضوع في بداية كتاب «المبسوط» بقوله: «حتى أنّ مسألة لو غُيِّر لفظها وعُبِّر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم لعجب أصحابنا منها. فما بالك إذا طرحت فروع تلك المسائل كما في أسلوب أهل السنة». ويقول: «ألّف أهل السنّة لكلّ قسم منهما كتباً مستقلة. وأنا جمعت الإثنين في كتاب «المبسوط»، وبينت

جميع تفريعات أهل السنة على أساس مذهب الشيعة دون الاستدلال بالقياس».

أهميّة التعرّف على فتاوى أهل السنّة

كان الأستاذ يعتقد أنه يمكن فهم روايات الأئمة ـ عليهم السلام ـ وأقوالهم بشكل أفضل من خلال مراجعة الروايات والفتاوى الشائعة لأهل السنة في عصر أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ. وكان يقول أحياناً «فقه الشيعة على هامش فقه أهل السنة» لأنّ الفتاوى المستعملة آنذاك هي فتاواهم. وكان أصحاب الأئمة يسألون أئمتهم بناءً على تلك الفتاوى، وكان الأئمة يجيبون في ضوئها أيضاً.

أعتقد أن ما يدعم هذا الرأي هو أن أكثر روايات الشيعة كانت تجري على شكل سؤال من الأئمة ـ عليهم السلام ـ ويظهر أن سواد الناس لا يستطعيو أن يطرحوا تلك الأسئلة بما هي عليه من دقة، فالسائلون كانوا

من أهل العلم، وكانوا يسمعون المسائل من فقهاء أهل السنة، ويسألون الأئمة عنها.

وكان الأستاذ يرى أن الرجوع إلى فتاوى أهل السنة من مقدمات الفقه. وكان يقول: «إنّ قدماءنا كانوا يحفظون مسائل الخلاف». من هذا المنطلق، قام لأوّل مرّة بطبع كتاب «الخلاف» للشيخ الطوسي مع حواش مختصرة.

وكانت هذه السنّة الحسنة متداولة بين فقهائنا في الماضي حتى عصر الشهيد الثاني وما تلاه من عصور، بيد أنها أُهملت أو ضعفت في

ـ[92]ـ

القرن أو القرنين الأخيرين تقريباً. وبعد التعرّف على منهج آية الله البروجردي، أخذت مكانها ثانية في حوزة قم، ثم في حوزة النجف تدريجاً.

وكان الأستاذ يجلب معه أحياناً كتاب «الخلاف» للشيخ الطوسي في درس الفقه، وكتاب «عُدّة الأصول» له في درس الأصول، ويقرأ بعض مسائلهما ويناقشها، ليمرّن طلابه على الرجوع إلى كتب قدماء الشيعة، وكذلك الرجوع إلى فتاوى أهل السنة، وكان يقول: «نقل قدماؤنا فتاوى أهل السنة في كتبهم ودروسهم، وكانوا ينقدونها في أغلب الأوقات».

التوكّؤ على الروايات وأسلوب عرضها في الدرس

كان آية الله البروجردي قلما يتمسك بالأصول العملية. بيد أنه كان يُبدي غاية الدقة والتأني في تمحيص الروايات واستنباط المسائل منها.

وكان منهجه في التدريس هو أنّه يطرح المسألة، ثم يعقبها بنقل أقوال المسلمين، لا على سبيل الاستقصاء التام، يتلو ذلك قراءة الروايات التي تحوم حول المسألة من كتاب (وسائل الشيعة) بنفس الترتيب، وبعدها يناقش الأستاذ الحكم المستفاد من الروايات واحدة بعد الأخرى، وكان يتحدث أحياناً عن سند الرواية والخلل الموجود فيها، ثم يعود ثانية فيبوّب الروايات ويصنفها، بعدها يناقش كلّ صنف منها. والذين لم يحيطوا علماً بمنهجه، كانوا يتصورون وجود تكرار واجترار

ـ[93]ـ

للمسائل. في حين أن المرة الأولى مخصوصة لمناقشة الروايات منفردة، أما المرة الثانية، فهي مكرّسة لمناقشتها مجتمعة بسبب ملاحظتها.

وفي هذه المرة، كان الأستاذ يناقش روايات كلّ راو مجتمعة، وغالباً كان يستنتج أن تلك الروايات تعود إلى رواية واحدة، وقد روعيت هذه النقطة في ترتيب روايات كلّ باب، كما سنذكر ذلك في شرح ميزات كتاب (جامع الأحاديث) فمثلاً صنفت روايات زرارة في باب واحد جنباً إلى جنب. وكان يقول: «هل تتصورون أنّ زرارة سأل الإمام عدة مرات وأجابه الإمام كذلك؟ لا، إنه سأل مرّة واحدة، وأجابه الإمام مرّة واحدة أيضاً، لكنّ الرواة اجتهدوا فأخرجوا تلك المسألة على ما نجده اليوم من كثرة الروايات».

منشأ المسائل الخلافية

كان أستاذنا يُنقّب في جذور المسائل المهمة. وعند طرحه نبذة تاريخية عنها، كان يذكّر بمنشأ الاختلاف وأصله بنحو معقول بعيد عن التعصّب المذهبي، ويطرح نقاط الاتفاق والاختلاف بين المسلمين، فيذكر رأي أهل السنة ودليلهم، وكذلك رأي مدرسة أهل البيت، وانعكاس ذلك الاختلاف في الفقه. فمثلاً في باب القبلة، كان يقول: الكعبة هي القبلة بإجماع المسلمين وضرورة الإسلام. ثمّ بعد ذلك يناقش هذه المسألة فيما إذا كانت الكعبة نفسها هي القبلة أو جهتها، وماهي حدود الجهة ومساحتها.

وكان يراعي في الفقه النقاط التالية:

1 ـ كان لا يتعامل مع المسائل الخلافية بين الشيعة والسنة بصورة سلبية، بل كان يحاول أن يتلمّس السبب الأصلي للاختلاف. ففي وجوب أداء الصلاة في أول الوقت الذي يلتزم به أهل السنّة (كأحد القولين للشيعة وعلى عكس أغلب علماء الشيعة)، ولا يجيزون تأخير الصلاة عن أول وقتها بلا عذر، كان يقول: تنطلق فتوى أهل السنّة مما أثر عن النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ أنه كان إماماً لجماعة المسلمين، وإمام الجماعة لابدّ وأن يحضر في الوقت المعين، وكان النبي يختار أول الوقت لأداء الصلاة، وكذلك كان يفعل الصحابة والتابعون إذ اتخذوا من عمل نبيهم معياراً لعملهم، ثم جاءت المذاهب الإسلامية فأفتى أصحابها بوجوب ذلك. في حين أن الرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ: كان أحياناً لا يراعي أوّل الوقت وهو في حال الاختيار، وكذلك صرح أئمة أهل البيت بذلك، فأصبح معياراً لفتوى الشيعة. وفي ضوء هذا التبرير كان يرى عدم صحة ما يقال من أن أهل السنّة قاموا بتبديل الأحكام عمداً، وكان يردّ على ذلك.

2 ـ كان يتوكّأ على آيات القرآن، وهو نفسه كان حافظاً آيات الأحكام. وكان يستنبط نقاطاً لطيفة من الآيات القرآنية.

3 ـ كان لا يهتم بتفريع الفروع والخوض في البحوث الإضافية غير الضرورية. ولم يتابع مثل هذه المسائل. وكان يطرح خلال مدة التدريس كلها بحثين من هذا النوع فقط، وهما: فروع العلم الإجمالي، واللباس المشكوك.

ـ[95]ـ

4 ـ كان يهتم بأقوال المعاصرين وآرائهم في المسائل المذكورة. مثلاً في المسألة المتعلقة باللباس المشكوك، كان يقرأ رسالة (اللباس المشكوك) لآية الله النائيني نصاً ويوضح موضوعها. وكان يقدر منهج المرحوم آية الله الحائري مؤسس الحوزة العلمية بقم في كتاب (الصلاة)، ويقول: «لم أر أحداً يكتب المواضيع العلمية المعقدة بهذه السلاسة والبساطة والإيجاز».

وكان الأستاذ البروجردي يكنّ حباً خاصاً للشيخ الطوسي من بين القدماء. ويرى أن الشيخ ألّف بعض كتبه، مثل: «الخلاف»، و«المبسوط» للعالم الإسلامي عامة، وبعضها الآخر، مثل: «النهاية» والكتب الفقهية الأخرى لعالم التشيع خاصة. وكان يدافع عنه إذا ما وجّه أحد نقداً يؤاخذه به، ويقول: «لعل الشيخ الطوسي لم يكرس من وقته أكثر من خمس دقائق لهذه المسألة بسبب كثرة مشاغله العلمية.».

ولم يكن الأستاذ ينتهي من البحث بنحو جازم قاطع، حتى إنه كان يترك المسائل ناقصة ليتابعها طلاّبه.

علاقة الفقه بتقريب المذاهب الإسلامية

نحن نعلم أنّ آية الله البروجردي كان يولي اهتماماً كبيراً بمسألة الوحدة الإسلامية وتقريب المذاهب، ولذلك رأيناه يتعاون مع «دار التقريب» في القاهرة، ويتبادل الرسائل مع مؤسسيها أمثال: الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت. وكانت له علاقة مباشرة بالسكرتير العام للدار، وهو الشيخ محمد تقي القمي، وكان يدعم الدار

ـ[96]ـ

من الناحية المالية والفكرية. وقد ذكرتُ وذكر الآخرون ذلك بالتفصيل في مجلة الحوزة، العدد الخاص بآية الله البروجردي.

وكان يتفق مع مؤسسي «دار التقريب» وأعضائها أنّ الفقه هو السبب الرئيس للاختلاف القائم بين المذاهب، بيد أنه في الوقت نفسه يمكن أن

يكون من عوامل التقريب. وكان يعتقد أنّ لأهل السنّة فقهاً متخذاً من الكتاب والسنّة، وهو ثابت عندهم. ونحن أيضاً لنا فقهنا المرتكز على أساس الكتاب وروايات أهل البيت. وينبغي الاهتمام بالفقهين بشكل محايد، وتطبيق أحدهما بالآخر.

في هذا المجال، فإنه لم يلتفت إلى قضية الخلافة ولم يحفل بها عند الخوض في أصل الإمامة، بل كان يرى أن المسلمين في غنى عن التعرّض للخلافة هذا اليوم، لأنها قضية قد انتهت، وما شغلنا بشيء قد مضى حتى نتطاحن عليه، وكذلك لا ضرورة أن نعرف من كان الخليفة، فالذي نحتاج إليه هذا اليوم بشأن الإمامة هو بُعدها العلمي، إذ ينبغي علينا أن نثبت اننا يجب أن نأخذ الأحكام من الأئمة. وكان في هذه القضية يتخذ من حديث الثقلين المعروف والمتواتر أساساً لعمله، ويقول: لو اكتفينا نحن الشيعة بهذا الاتجاه الذي يمثل حاجة معاصرة للمسلمين، وطرحنا ما عندنا على أهل السنة بنحو معقول، فإننا سوف نقطف الثمار، ونتمكن من إقناعهم. من هذا المنطلق، وباشارة منه تم جمع طرق حديث الثقلين من قبل أحد العلماء في قم. وقامت دار التقريب بطبعه. وقد تمّ طبعه مرة ثانية من قبل المجمع العالميّ للتقريب مع تذييل لي.

في ضوء ذلك، فانه ـ من جهة ـ كان يهتم بأن يطلع علماء الشيعة

على روايات أهل السنة وأسسهم الفقهية، ومن جهة أخرى، يتعرف أهل السنة أيضاً على روايات أهل البيت وفقه أتباعهم. ونجح ـ حقاً ـ في الأمرين، ودفع معظم أعضاء (دار التقريب) إلى التعرّف على فقه الإمامية، إلى درجة أنّهم أفتوا في بعض المسائل وفقاً لذلك الفقه. وآل الأمر إلى أن يصدر المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فتواه الشهيرة بجواز التعبّد بفقه الإمامية. وأنا اعتقد أن لحنكة المرحوم الأستاذ البروجردي وجهوده الواعية دوراً في إصدار تلك الفتوى. وكان ـ رحمه الله ـ يثني على الشيخ محمد عبده ويقدّر جهده في تأليف شرحه على نهج البلاغة. وذكر وصف كلام علي عليه السلام نقلاً من الشيخ محمد عبده في أول شرحه.

وكان في منهجه وتفكيره شريكاً للمرحوم السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي. وله اهتمام بكتبه، لا سيما كتاب «الفصول المهمّة في تأليف الأمّة».

ـ[99]ـ

الفصل الثالث: آثاره العلميّة

الفصل الثالث:

آثـاره العلميّة

ـ[100]ـ

ـ[101]ـ

مقدمـة:

إنّ آخر ما مرت من الأطوار بعلمَي الحديث والرجال في المذهب الإمامي طيلة الأيام والقرون، ظهور موسوعتين كبيرتين في القرن الرابع عشر الهجري:

1 ـ موسوعة في الحديث، باسم (مستدرك الوسائل) للمحــدث الخبير الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (م1320هـ . ق) استدرك به مافات الشيخ الحر العاملي (1033 ـ 1104) في كتابه القيّم (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) من الروايات. ويجري مجراها موسوعة أخرى باسم «مستدرك بحار الأنوار» للشيخ ميرزا محمد العسكري الطهراني نزيل سامراء (م1371) أكمل به كتاب بحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسي (1037 ـ 1110) ولم نرها لحد الآن.

2 ـ موسوعة في الرجال باسم (تنقيح المقال في علم الرجال) للعلامة الشيخ عبد الله المامقاني (م1351) ثم لحق به كتاب (قاموس الرجال) للعلامة المرحوم الشيخ محمد تقي التستري في عشرة أجزاء،

وكتاب (معجم رجال الحديث) (25 مجلداً) لفقيه عصرنا آية الله السيّد أبي القاسم الخوئي المتوفى هذا العام (1413) قبل شهور.

وأما موسوعات أخرى من قبيل (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) للعلامة الكبير المعاصر شيخ مشايخ عصره الشيخ آغا بزرك الطهراني المتوفى (1389) عن عمر زاد على التسعين ـ وقد ألحق الأصاغر بالأكابر وشرّفهم وشرّفنا بإجازة الحديث، وكتاب (أعلام الشيعة) له وكتاب (أعيان الشيعة)

للعلامة الفقيد السيّد محسن الأمين العاملي (1292 ـ 1370) فهذه الكتب وأمثالها وإن احتوت تراجم رجال الحديث إلاّ أنّ الغاية الرئيسية والهدف الأصلي منها ليس هو جرح وتعديل رواة الحديث والتعريف بهم ـ الهدف الذي يرمي إليه علم الرجال ـ بل الغرض الرئيسي من كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) كما يحكي عنه هذا الاسم ـ هو التعريف بالتصانيف والمولّفات للشيعة الإمامية، ومن «أعلام الشيعة» التعريف بعلماءها كما أن الغاية لكتاب (أعيان الشيعة) هي المعرفة الواسعة بتراجم أعلام هذه الطائفة الكبيرة من طوائف المسلمين سواء العلماء منهم أو أعيانها من سائر الطبقات من الوزراء والأمراء والملوك والسادة والقادة وكلّ من كان له شأن يذكر أو أثر يُسطر.

وهكذا شأن غير هذه الموسوعة من كتب التراجم المختصرة أو المطولة ككتاب (الكنى والألقاب) للمحدث الخبير الشيخ عباس القمي (1294 ـ 1359) وما يجري مجراه وهي كثيرة ولا سيما في اللغتين الفارسية والعربية بل وغيرهما من اللغات الإسلامية.

وإلى جانب ذلك كله قيض الله في عصرنا للعلم وأهله، الإمام

الاكبر سيّدنا الأستاذ البروجردي من أسرة عريقة في العلم والشرف والفضائل ـ كما مرت بنا ـ فقام بعمل إيجابي كبير في فني الحديث والرجال يليق بأن يُعدّ ثورة في تاريخ هذين العلمين، فهذا الإمام مع تضلعه في الفقه والأصول وسائر العلوم الإسلامية على المستوى العالي، الذي نال به زعامة الشيعة وإمامة الطائفة، قد صرف شطراً كبيراً من عمره في علمي الرجال والحديث، فجاء فيهما ببديع، وأصبح حلقة ملحوظة من حلقات النشوء والتطّور في هذين المجالين، وقد ساعده على ذلك أمران:

الأوّل: أنه ـ كما سبق شرحه ـ تتلمذ في أول أمره بإصفهان حيناً من الدهر، وكانت حوزتها العلمية احتفظت إلى تلك الحين بالسنن القديمة، ولم تنس أساليب القدماء التي كانت تهتم بالعلوم النقلية إلى جانب العقليات، فكان يُوجَد فيها رجالٌ خُبراء بالحديث والرجال والتراجم، وما إليها من العلوم التي نسيت في غيرها من أودية العلم وحوزاته، أو كادت أن تنسى فكانت مدرسة إصفهان المزدهرة بهذه العلوم طيلة أكثر من ألف سنة، وخاصة في العصر الصفوي فما بعدها عامرة بالعلماء في جميع فنون الإسلام، ومن جملتها علم الرجال والتراجم، وكفانا شاهداً بذلك أنّ أبا نُعيم الإصبهاني ـ وهو الجد الأعلى للأسرة المجلسية ـ ترك كتابه «حلية الأولياء» وغيرها لنا من قبل ألف سنة، والعلامة السيّد محمد باقر الروضاتي ألّف كتابه القيّم (روضات الجنات في تراجم الفقهاء والسادات) من قبل مائة سنة في هذه البلدة (إصفهان).

فهذا المناخ العلمي ترك أثره على هذا الطالب الذي أتى من

ـ[104]ـ

بروجرد بما فيه من استعداد متفوق، نعم ترك أثره في اتجاهه الفكري وأسلوبه العلمي فيما بعد، ولا مجازفة في القول لو قلنا أن آراءه كانت استمراراً لمدرسة إصفهان علماً بأن مدرسة النجف الأشرف في تلك الآونة غلب عليها الفقه والأصول، متجهة إلى السلوك العقلي أكثر من الاتجاه النقلي.

الثاني: أن السيّد الأستاذ بعد أن استكمل علماً وعملاً واستوفى حظه من العلوم ولاسيما الفقه والأصول بالنجف، عاد إلى وطنه بروجرد معتكفا في مكتبته الخاصة العامرة بأنفس الكتب، يتابع التحقيق والدراسة زهاء أربعين سنة أي من سنة 1328 هـ ق إلى سنة 1364 ـ حيث انتقل إلى بلدة قم ـ وكان يهتم من بين العلوم بعلم الرجال خاصة. فدرس وبحث وكتب وألّف وجدّد النظر في كلّ ما كُتب وسُطِر في هذا الشأن من قبل علماء الإسلام على النطاق الواسع من دون أن يخص نظره برجال طائفته الإمامية وحديثهم، فحصلت له في هذه الحقبة من الزمن آراؤه ومدرسته الخاصة به في علمي الرجال والحديث المرتبط بعضهما ببعض.

ثم انتقل إلى بلدة قم (بلد الجهاد والاجتهاد وبلد القيام والشهادة) وفيها أعظم الجامعات الإسلامية وأكبر دور العلم في ايران، حاملاً في صدره معلومات جمّة وفي عزمه آمالاً عظيمة، حيث وجد أمامه أفقاً واسعاً من ملامح الإصلاح، لا في نطاق مذهبه وبلاده فحسب، بل بالنسبة إلى العالم الإسلامي بأجمعه.

ثم أتته زعامة الشيعة الإمامية، فأفاد من علمه الغزير وأرشد

ـ[105]ـ

برأيه الحكيم وعلّم وربّى ناشراً مدرسته وآرائه الجديدة بين العلماء والطلبة، فقلّب بذلك الموازين العلمية، ووجّه الأنظار إلى القديم والقدماء وإلى السُنن المنسية عند الفقهاء، وأخذ بعين الاعتبار مسائل جديدة وآراء طريفة في العلوم الإسلامية ولاسيما في حقلي الفقه والأصول كما سبق شرحها ويهمنا الآن كشف القناع عن اتجاهه في علمي الحديث والرجال تمهيداً للتعريف بآثاره الرجالية بشكل موسّع وبموسوعته في الحديث بشكل موجز.

ومغزى الكلام أنّه بعدما طال نظره في كتب الرجال والحديث وأخذها بعين الاعتبار، وقلّبها ظهراً لبطن ورجع البصر فيها كرّتين، وقاس مسلك الطائفة الإمامية وكتبهم بما وقف عليه من كتب أهل السنة، وطريقتهم في الحديث والرجال، انتهى نظره إلى أنّ المؤلفين من أهل طائفته بلغوا الغاية وانتهوا إلى النهاية في هذين العلمين من حيث حجم العمل والكمية،

فجمعوا وضبطوا الحديث وأسامي الرجال وتراجمهم بما بينها تراجم علماء آخرين من غير رجال الحديث، وألّفوا فيها موسوعات كبيرة، توسّعت طول الزمن وانبسطت حجماً إلى حد يصعب لغيرهم أن يزيدوا عليه، أو يأتوا بشيء زائد على ما يحتاج إليه الفقيه، أو يتكل عليه، فقد كملت بحوثهم وانتهى بهم المطاف من حيث الحجم.

وأما من حيث الكيفية فرأى الأستاذ بما حصلت لديه من الخبرة أنّ للعمل المبتكر الجديد في سبيل ازدهار العلمين وتقدّمهما الملحوظ مجالاً واسعاً فعزم على القيام بعمل إيجابي في ذلك مستعينا بربه فلنشرح مدرسته الحديثية والرجالية:

ـ[106]ـ

مدرسته الحديثية وأثـره في هـذا العلم

كان الأستاذ يتحدّث بالتفصيل أو الإجمال، سواء في حلقاته الخاصة بالرجال والحديث لخاصة تلامذته والعاملين معه، أو في الحلقات العامة التي كانت تخصّ الفقه والأصول ما خلاصته أن ما يحتاج إليه الفقيه من الروايات قد جمعت في كتاب (وسائل الشيعة)، أما كتاب (المستدرك) فليس فيه شيء كثير يعتمد عليه الفقيه بمفرده، فإنّ أكثر ما في هذا الكتاب يعتبر مؤيدات لما في (الوسائل) من سائر الأخبار، مع أنّ عمدة ما في الوسائل أيضا الروايات المأخوذة من الكتب الأربعة المعروفة، التي جمعت بدورها في كتاب (الوافي) للفيض الكاشاني (م1091) بأسلوب خاص ابتكره هو، ولاسيما في تلفيق أسناد الروايات وضبط موارد الاختلاف يحتاج إلى دراسة دقيقة، فهذه الروايات هي العماد والمعتمد في الفقه الإمامي، كما أنّ هذه الكتب الأربعة تعتبر أصح كتب الحديث وأقدمها وأشهرها عند الإمامية، ويوجد منها نسخ كثيرة قديمة مصححة مقروءة على المشايخ العظام، وتوجد أيضاً إلى مؤلفيها المشايخ الثلاثة العظام: الكليني والصدوق والطوسي، طرق عديدة لا تحصى.

أما غيرها من كتب حديث الطائفة فليست بهذه المنزلة. وبذلك كله ظهر أن الروايات الفقهية للشيعة الإمامية عند الإمام البروجردي كانت من حيث صحة الاعتماد عليها ومدى حاجة الفقيه إليها على ثلاث درجات:

ـ[107]ـ

الأولى: روايات الكتب الأربعة، فلها الحظ الأوفى والقدح المُعلّى، علماً بأنّ جميع ما فيها لا يعتبر صحيحاً بالمعنى المصطلح وليست تعبّر عنها

بالصحاح كما يُطلق أهل السنة هذا العنوان على كتبهم الستة فيقال عنها: (الصحاح الستة).

الثانية: روايات ما سواها من الكتب التي أدرجها الشيخ الحر في كتاب (الوسائل)، فان القسم الكبير منها مؤيدات مكرّرات بالنسبة إلى ما في الكتب الأربعة، والقسط الصغير منها شيءٌ لا يتكل عليه الفقيه بمفرده، اللهم إلا في شذاذ المسائل فقط.

الثالثة: روايات جمعها المحدّث النوري في مستدركه، والعلامة المجلسي في قسم الأحكام من مجلدات كتابه (بحار الأنوار) أو غيرهما في غير هذين الكتابين، فهذه الروايات، سوى ما كان منها تكراراً لما في الوسائل متناً وسنداً ومأخذاً، قلمّا يوجد فيها حديث لا يوجد أصحّ منه بمعناه في الصنفين الأولين.

فظهرت أنّ عناية المحدثين القدامى والمتأخرين، صُرفت إلى جمع الروايات واستقصائها حتى جاوزت مقدار الحاجة، فلسنا نحن بعد وجود هذا الحجم الكبير من المؤلفات والموسوعات، محتاجين إلى طلب المزيد، والفحص عن ما شذّ من الحديث في مصادر غير معروفة ولا معتبرة، مضيفين إلى ما عمل السلف الصالح، تأليفا أكبر منه، بل يجب الانصراف عنه وتوجيه النظر إلى تنقيحها، الشيء الذي له مجال واسع والحاجة اليه مُلحة، فهذا العمل هو الذي تصدى له الإمام البروجردي في الحديث والرجال.

أما الحديث فقد سبق أنّ أهمّ الكتب وأجمعه للحديث الفقهي الذي يحتاج إليه الفقيه هو كتاب وسائل الشيعة الذي أصبح كالمرجع الوحيد للفقهاء في القرون الثلاثة الأخيرة التي مضت على تأليفه، وذلك لما في هذا الكتاب من وجوه الحسن وأسباب الرجحان على غيره. ومن ذلك أنه عنون لكل مسألة فقهية باباً خاصا، وعنوانا مبسوطاً واضحاً، بحيث يبدو فهرس هذا الكتاب، وكأنّه متن فقهي يفوق غيره من المتون وقد سمّاه المؤلف (من لا يحضره الإمام) لما فيه من التفصيل والإسهاب في عناوين الأبواب.

إلاّ أن هذا الكتاب على الرغم من فوائده الكثيرة. لا يخلو عند سيّدنا البروجردي من وجوه الخلل والنقصان وأهمها أن الشيخ الحر رحمه الله لما التزم بأن يعنون لكل مسألة فقهية جاءت في الروايات عنواناً برأسه، ألجأه ذلك إلى تكرار الروايات وتقطيعها، والتكرار يوهم زيادة الروايات على عددها في نفس الأمر، حتى قيل أنّ حوالي عشرة آلاف حديث من مجموع 35 ألف حديث احتوى عليها هذا الكتاب يعد تكراراً لغيرها.

كما أنّ التقطيع ربما يوجب فوات كثير من الأمارات الدالة على المراد، على أن الشيخ الحر قد يكرر عناوين بعض الأبواب رعاية لمناسبات توجد في مواضع مختلفة من الكتاب. ثم إن عادة المؤلف هو التفريق بين الأمثال والنظائر ففي كثير من الأبواب جاءت روايات عديدة من راو واحد وربما ترجع إلى رواية واحدة، ففرقها المؤلف على الأبواب أو أتى بها متفرقة بلا انسجام في باب واحد، مشيراً إلى ما تقدم

ـ[109]ـ

أو يأتي في أبواب أخرى مهملاً عنوان الباب والكتاب، الأمر الذي ألجأ عدداً ممن أتى بعده، علاج ذلك بالتنبيه على مواضعها أو أصولها بتأليف كتاب مفرد أو التنبيه عليها في الهامش. وآخر عمل من هذا القبيل ما قام به صديقنا وزميلنا في حلقات الدرس وفي لجنة الحديث، ـ وسنتكلم عنها ـ عند الإمام البروجردي المغفور له العلامة المتتبع، المجاهد، الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي في ما صححه وقدم له في طبعة جديدة من كتاب (الوسائل)، والذي تبعه طبع آخر قامت به مؤسسة أهل البيت مشكورة، فالناظر فيهما يطّلع على ما تحملوه من ذكر المصادر وتعيين مواضع «ماتقدم ويأتي» من هذا الكتاب.

والفقيه لا يهمه كثرة الروايات بقدر ما يهمه ويحتاج إليه أن يحيط برواية واحدة أو أكثر كاملة بجميع طرقها ومتونها المختلفة، لكي ينظر إليها ككلام تام صدر عن النبي أو الإمام المعصوم عليهما السلام، ماثلاً أمامه، مضبوطاً في باب واحد.

والإمام البروجردي ربما كان فريدا بين أقرانه في الاهتمام بإرجاع روايات عديدة إلى رواية واحدة، واستخراج نصها من مجموعها استناداً إلى سنّة جارية في الحديث، وهي إن تراكم الوسائط وتواليها وتعدد الطرق، وبعد الزمان، وخطأ النسّاخ وتساهل الرواة في نقل الحديث بالمعنى، وأسباب أخرى من هذا القبيل جعلت رواية واحدة عبر الزمان كأنها روايات متماثلة وربما جعلتها روايات متعارضة ومتضادة.

وبالجملة فشدة العناية بالكمية، والاهتمام بتضافر الحديث

ـ[110]ـ

والحرص على أن يكون لكل مسألة فقهية عنوان خاص، هي من جملة الأسباب لأن تطرّقت تلك النقائص إلى كتاب (وسائل الشيعة)، وقد تصدى الأستاذ الإمام لرفعها بإنشاء لجنة من تلامذته، اشتغلوا تحت اشرافه طيلة حوالي سبع سنين بتأليف كتاب جامع لما في الوسائل ومستدركه، بأسلوب مبتكر يجانب التكرار والتقطيع والتشتيت بين الأمثال، نقلاً عن أصح النسخ الموجودة من الكتب الأربعة وغيرها، فجاء الكتاب والحمد لله مع حسن التنظيم والتبويب أضبط وأثبت بكثير من كتابي (الوسائل

ومستدركه) حاو لما جاء في مقدمة الكتاب من المزايا وسنوجزها نحن في هذا البحث ونضيف عليها.

وقد تمّ تأليف الكتاب في حياة الأستاذ وسماه هو (جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة) وكان ينظر فيه، ويصححه، ويبدي آراءه في أثناء العمل ويشترك في لجنة الحديث ويتابع العمل حتى تم، فأمر بطبعه، وخرج قسم من الجزء الأول طبعاً على الحجر وكان يشتغل بتقديم الكتاب فوافاه الأجل، ولم يكمل ما كان بصدد ذكره في المقدمة إلى أن قام ابنه العالم السيّد محمد حسن بإكمالها مستفيداً مما سمعه من أبيه ومما كتبه غيره من أعضاء اللجنة ومما كتبته أنا في حياة الأستاذ تصديراً للكتاب ونظر فيه الأستاذ واستحسنه، فالحقت المقدمة بطولها بالجزء الأول ثم نشر جزء آخر أو جزءان من الكتاب بهذا الشكل وتوقف طبعه بموت ابنه رحمة الله عليهما. إلى أن قام المرجع الأعلى آية الله الخوئي رضوان الله تعالى عليه باشتراء جميع مخطوطات الكتاب ثم أمر بطبعه في قطع صغير على الحروف واستمر نشره لحد الآن وخرج

منه 19 مجلداً حاوية جميع كتب العبادات وآخر ماوقفت عليه كتاب (الأمر بالمعروف). ـ ثم تمّ طبعه فى 26 مجلداً بحمد الله تعالى ـ

والذي تصدّى إلى طبع الكتاب والإشراف عليه والتزم إخراجه مشكوراً، هو أحد أعضاء اللجنة العالم الفاضل الشيخ إسماعيل الملايري، وهو لا يزال يتابع العمل آملين له دوام التوفيق.

لمحة من قصّة هذا الكتاب

لو أردنا حكاية القصة من أولها إلى آخرها فإنّها تُكلّفنا تأليف رسالة أو كتاب لا مجال له عندنا، وإليكم موجزها:

كان الأستاذ دائماً يشير إلى ما يوجد من نقص وخلل في كتاب (الوسائل) إلى أن أعلن في حلقة الدرس أنه مصمم على رفع ذلك ـ وقد انتهى بحثه حين ذاك إلى باب (صلاة الرجل بحذاء المرأة) من كتاب الصلاة حيث اشتمل على روايات مختلفة تحتاج إلى التنظيم ـ فاقترح على الطلبة أنّ من يريد الاشتراك في هذا العمل، ينظّم روايات هذا الباب ويرسله إلى ثم

ليحضرني في البيت يوم كذا. فاشترك في التأليف حوالي أربعين شخصاً كنت أحدهم فقمت بتنظيم الروايات وأضفت إليها رسالة ذكرت فيها ما يوجد من النقص في كتب الفقه والحديث على العموم سواء من حيث التأليف أو الطبع وأشرت إلى ما يوجد من ذلك في كتاب الخلاف للشيخ الطوسي، الذي تمّ طبعه بيد الأستاذ لأول مرة من دون شرح ما تحمله من المشاق في سبيل تصحيحه والتعريف بما كانت عنده من المخطوطات ثم اقترحت ما خطر ببالي من طرق الإصلاح والتجديد في هذا المجال والرسالة لا زالت عندي وهي جاهزة للنشر.

فجاء اليوم الموعود واجتمع الطلبة فخرج الأستاذ إليهم وبيده كرّاسات قدّمها إليه أولئك الذين أعلنوا استعدادهم للمشاركة في هذا العمل، فجلس وأبدى نظره فيما قدموه إليه واحدا بعد واحد حتى انتهى

ـ[113]ـ

إليّ فأخذ الرسالة وقرأ شطراً منها واعترف بما يوجد من النقص في المطبوع من كتاب الخلاف، وشرح ما عاناه من المشاق طيلة سنين في هذا السبيل وأنه كان ينبغي ذكرها في أول الكتاب الذي نُشر لأول مرة بعد مضي حوالي ألف سنة على تأليفه ولم يذكر مصادره والمخطوطات التي اطلع عليها واستفاد منها، وانتهى المجلس من دون اتخاذ قرار للإبتداء بالعمل إيكالا ذلك إلى وقت آخر.

وبعد مضي عدة أيام اختار هو من بين المشاركين حوالي أربعة وعشرين شخصاً كنت أنا أحدهم فوزع الكتب الموجودة في (وسائل الشيعة) من الطهارة إلى الديات عليهم، وكان سهمي كتاب النكاح وملحقاته فاشتغلوا مجتمعين بترتيب روايات الوسائل ومستدركاتها، على أسلوب اقترحه الأستاذ عليهم، وكان يتصل بهم ويحضر لجنتهم في كلّ اسبوع أو أكثر، فيرشدهم ويجيب على أسئلتهم ويُشرف على عملهم بشكل مستمر في بيته في قم أو في المصيف (قرية وشنوة) حيث يذهب إليها في الصيف آخذاً إياهم معه، وكانت تتبادل الآراء بين الأستاذ وأعضاء اللجنة في شكل العمل وأسلوبه أو ما كانوا يستقبلونه من اختلاف الرأي الذي ربما انتهى إلى التشاجر والمنازعة فيما بينهم وبذلك قد تغيرت صورة الكتاب وأسلوبه ومرت عليه مراحل إلى أن استقر رأيه ورأيهم على الصورة التي انتشر عليها الكتاب، وكان اختلاف النظر غالباً حول المزج بين روايات الكتب الأربعة وغيرها، أو الفصل بينها والأستاذ كان يفضل الفصل بأن نكتب هذه الروايات في كلّ باب فوق سطر أفقي وسط الصفحة وتضبط الروايات من غير الأربعة

ـ[114]ـ

تحت السطر وقد عملنا حسب رأيه برهة من الزمن فوقع الفصل بين الأشباه والنظائر وبين روايات شخص واحد، الأمر الذي كان الأستاذ يصر

على الاجتناب عنه، لأن الفقيه يجب أن ينظر إليها معاً ويستنبط الحكم من ملاحظتها جميعاً. وهذا ما عملنا به في نهاية المطاف وطبع الكتاب عليه، حيث ترى حديث (الكافي) وقع إلى جانب حديث (دعائم الإسلام) مثلاً للمناسبة والمشابهة بينهما.

والآن لا موجب لتفصيل ما مرت على تأليف الكتاب من المراحل سوى مرحلة واحدة يهمنا الإشارة إليها في الوقت الحاضر الذي نحن بصدد التقريب بين المذاهب الإسلامية، الذي كان يهتم به الأستاذ ويسعى لتحقيقه في العالم الإسلامي.

وتوضيحه أنّ الأستاذ الإمام حضر يوماً لجنة الحديث وبيده كتاب، فبدأ حديثه بأنّ: «عدد روايات أهل السنة في باب الأحكام أقل بكثير من روايات أهل البيت عندنا، فأرى إيرادها في ذيل أبواب كتابنا إذ في الجمع بينها فوائد وللنظر فيها جميعاً دخلٌ في الاستنباط، وبذلك يُعلم مقدار ما عندهم من الحديث في كلّ باب وما عندنا» وأضاف قائلاً: «أنّه يكفينا من رواياتهم ما جمعت في هذا الكتاب» وهو «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول» للشيخ علي منصور علي ناصف، من علماء الأزهر الشريف ـ وفيه خمسة من الصحاح الستة أي عدى سنن ابن ماجة ـ فبدأنا بدرج تلك الروايات في مواضعها، وتم العمل في كتاب الطهارة وشيء من غيرها، فإذا بالأستاذ الإمام حضر اللجنة، قائلاً إني طلبت منكم درج أحاديث أهل السنة في الكتاب، ثم بدا لي حذفها، وذكر أسباباً لانصرافه عن رأيه، وحاصلها أن الناس عندنا لا يتحملون هذا في

وقتنا الحاضر وإني أخاف الفتنة فنكلها إلى وقت مناسب، فتم المجلس وأعضاء اللجنة مصممون على حذف تلك الروايات وقد اشتغلوا بحذفها بالفعل.

وفي خلال ذلك أرسلت أنا كتاباً إلى الأستاذ ذكرت فيه بعض المرجحات لوجود روايات أهل السنة راجيا أن أصرفه عن هذا إلى رأيه الاول، لكنه لم يؤثر في عزمه، فتم تأليف الكتاب مجرداً عن روايات الجمهور. ومهما كان الأمر فهذا الحادث يعكس لنا رأي الأستاذ في ما يرتبط بتقريب المذاهب وإيجاد العلاقة بين الشيعة وأهل السنة، ولاسيما في مجال الحديث والفقه الأمر الذي طالما سعى إليه جمع غفير من المصلحين في العالم الإسلامي ومن بينهم جماعة التقريب بين المذاهب في القاهرة، وكان لديهم مشروع، وهو الجمع بين الروايات المشتركة بين الفرق الإسلامية في كتاب ولم يتحقق هذا المشروع لحد الآن وقد بحثنا عن دار التقريب فيما سبق. ـ ونحن الآن في المجمع العالمي للتقريب ننجزّ هذا المشروع ـ

وشيء آخر يجب الإلمام به في شأن هذه الموسوعة الكبيرة (جامع الأحاديث) أن العزم كان معقوداً في أول الأمر على شيء من التصرف

في كتاب (الوسائل) وإزالة الخلل عنه، ولم يكن يختلج في خلد أحد منّا تأليف كتاب جديد، الأمر الذي انتهى العمل إليه، ولو أخذنا هذا الكتاب بعين الاعتبار، فالحق أنّه كتاب جديد يختلف عمّا أُلِّف قبله بكثير، من حيث الصورة والأسلوب وإن كانت المادة مشتركة بينها فإن ما فيه من الأحاديث هي عين ما اشتمل عليه كتاب (الوسائل ومستدركه) من الأحاديث.

مزايا كتاب (جامع الأحاديث)

وإليكم شطراً من أهم مزايا هذا الكتاب موجزاً:

1 ـ لا تكرار ولا تقطيع في الأحاديث، اللهم إلاّ في عديد من الأحاديث الجامعة المطولة كحديث وصية النبي لعلي، وحديث الأربعمائة، مما يُعدّ كلّ قطعة منه حديثاً برأسه، والمظنون أنها كانت متفرقة في الأصل، ثم ضُمّ بعضها إلى بعض فبرزت كأنها رواية واحدة.

2 ـ جميع طرق حديث واحد مذكورة في أول الحديث، تلفيقاً بينها واقتباساً أسلوب كتاب (الوافي للفيض الكاشاني) وهذا شيء يحتاج الممارسة للأنس به.

3 ـ ذكر اسم الكتاب المصدر رعاية للاختصار بالرمز مثل (كا) للكافي (قيه) لمن لا يحضره الفقيه (يب) للتهذيب (صا) للاستبصار، وأما في غير هذه الكتب فاكتفينا بذكر اسمائها مقطوعة: مثل (العيون) لكتاب (عيون أخبار الرضا) للصدوق.

4 ـ جاءت روايات شخص واحد في كلّ باب بعضها تلو بعض علماً أو ظناً بأنها في جملتها رواية واحدة، وهذا الأمر كما مر بنا مما اختص به سيّدنا الأستاذ حيث كان يتعامل معها معاملة حديث واحد.

5 ـ التلفيق بين الأبواب المتناسبة، اجتناباً عن التكرار والتقطيع وحرصاً على ذكر الأشباه والنظائر من الأخبار، مجتمعة في باب واحد، ليحيط بها الفقيه جملة واحدة، علماً بأنّ له دخلاً في تسهيل أمر الاستنباط وطريقتنا هذه متوسطة بين طريقة صاحب الوسائل وطريقة

صاحب الوافي حيث يفرق الأول كثيراً من المتناسبات في أبواب متعددة، ويجمع الثاني أحياناً ما لا مناسبة بينها في باب واحد كما أن عناوين الأبواب أيضاً ليست على حد تفصيل (الوسائل) ولا إجمال (الوافي) بل هي بدورها واسطة بينهما.

6 ـ رعاية التنسيق بين أبواب كتاب واحد والترتيب المناسب في تواليها.

7 ـ رد أبواب السنن المستقلة إلى مواضعها في كتب الحديث عند القدماء، علماً بأن صاحب الوسائل أدرجها خلال الكتب بمناسبة ما، مثل أنه أدخل راويات (الأواني والظروف) في كتاب الطهارة وكذلك روايات (آداب الحمام) والحال أنّ محلّها من كتب الحديث كتاب خاص باسم (كتاب الزي والتجمّل) وكذلك روايات (آداب السفر وآداب العشرة واحكام الدوابّ وأبواب المزار) أتى بها في كتاب الحج، ولا يحتاج إليها الفقيه فرأينا بإشارة من سيّدنا الأستاذ، تأخير أمثال هذه الأبواب إلى آخر الكتاب يجمعها كتاب باسم (الآداب والسُنن) ليتمحّض أصل الكتاب لما يحتاج اليه الفقيه في استنباط الأحكام، ومن هذا الباب أبواب الزيارات والأدعية المستقلة غير المرتبطة بما وقع في أبواب الفقه.

8 ـ نقل عدة من أبواب كتاب القضاء في (الوسائل) الحاوية لأدلة الأحكام إلى مقدمة الكتاب التي تشكل مجلداً كاملاً بما فيه من مقدمات العبادات، وذلك كأبواب حجية الأخبار وطريق علاج ما تَعارضَ منها، وحجية ظواهر الكتاب وحجية العقل وإبطال القياس وحرمة البدعة وحكم الشبهات الحكمية والموضوعية إلى غيرها. مراعياً تبديل عناوينها التي أتى بها الشيخ الحر حسب مسلكه الأخباري، إلى ما استقر

ـ[118]ـ

الرأي عليه عند الأصوليين. وهذا ما يقف عليه الباحث بالمقارنة بين عناوين هذه الأبواب من (الوسائل) وكتابنا هذا (جامع الأحاديث).

9 ـ إدماج الأبواب المتكررة في مواضع عديدة من كتاب الوسائل في موضع واحد وباب واحد مثل باب (حدّ البلوغ للرجل والمرأة) حيث أتينا بها في مقدمة الكتاب وقد كررها الشيخ الحر في مقدمة العبادات وفي كتاب الصوم والحج والنكاح والحجر وربما في غيرها.

10 ـ أخذ الروايات عن مصادرها الأولى وعن المخطوطات المعتبرة وقد جمعت لدينا في اللجنة جملة من أنفس النسخ ولاسيما من الكتب الأربعة مما كانت في مكتبة السيّد الأستاذ او استعير من مكتبة آية الله المرعشي الخاصة العامرة بالمخطوطات ـ ولم تؤسس المكتبة العامة بعد ـ أو من مكتبة العلامة المغفور له السيّد حسين الخادمي الإصفهاني وكان من بينها نسخة من (من لا يحضره الفقيه) لا توجد مثلها في صحتها ودقتها في ضبط مواضع اختلاف النسخ وكانت في آخرها جداول مدوّرة للمشيخة،

وإجازة الشيخ الصدوق للسيّد الشريف الدِّين الذي التقى بالصدوق في بلخ وطلب منه تأليف هذا الكتاب واقترح عليه هذا الاسم آخذاً من كتاب (من لا يحضره الطبيب) الذي عمله محمد بن زكريا الرازي المتطبّب. فهذه المخطوطات وغيرها من النسخ التي جمعها السيّد الإمام من المكتبات وضعها تحت يد اللجنة واستفادت منها في ضبط الروايات.

ويا للأسف أنّ الذين تصدوا لطبع الكتاب لم يُعرِّفوا هذه المصادر المعتبرة ولم يأتوا بنموذج من أولها وآخرها ـ كما هو متعارف عند المحققين ـ ويوجد في ما طُبع من الكتاب أشياء من هذا القبيل يرفضها

ـ[119]ـ

أرباب التحقيق.

تلك عشرة كاملة من مزايا كتاب (جامع الأحاديث) والمتأمل في هذا الكتاب يقف على أشياء أخرى غيرها.

وإذ قد انتهينا عن ذكر مزايا الكتاب نضيف إليها مزية أخرى لم تذكر في المقدمة ولا يعرفها غيري من أهل لجنة الحديث وهي: إني حضرت يوماً مع أحد هؤلاء لدى السيّد الأستاذ البروجردي رحمه الله في غرفته الخاصة، فاقترحت عليه أن يجيزنا رواية هذه الأحاديث حتى تخرج عن الوجادة التي هي ـ كما يقولون ـ أدنى وأضعف مراتب تحمل الحديث إلى تحمّلها بالإجازة عن المشايخ، فأعجبه هذا الاقتراح وبدأ يذكر طريقه إلى المشايخ العظام بعد أن حمد الله وصلّى على النبي وآله فقال: «إنّي أروي عن أستاذي آية الله آخوند الخراساني (م1329 هـ) عن سيّد الفقهاء السيّد مهدي القزويني الحلّي، صاحب الكرامات (م1300هـ) عن عمّه العلاّمة صاحب المقامات السيّد محمد باقر بن السيّد أحمد القزويني (م1246 هـ) عن خاله المعظم آية الله بحر العلوم السيّد مهدي الطباطبائي، صاحب المقامات والكرامات (1155 ـ 1212) عن جماعة منهم الأستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني (م1206) عن والده محمد أكمل عن العلاّمة المجلسي....».

وأقول: هذا الطريق موجود في آخر المستدرك للشيخ النوري، ثم أضاف: «ولي إجازة عن الآغا نجفي الإصفهاني (م1332 هـ ق) ولا تحضرني الآن...» والعجب أنه لم يلتفت ـ حين ذاك ـ إلى الإجازات الثلاث عن ثلاثة من مشايخه التي سنقف عليها بنصها في نهاية هذا التصدير.

وسمعت العلاّمة الطهراني صاحب كتاب الذريعة رحمه الله أنه

ـ[120]ـ

قال: «حين دخل سيّدنا البروجردي النجف كان شيخنا النوري رحمه الله قد توفّي في أمد قريب منه ـ وهي سنة 1320 التي دخل السيّد الأستاذ النجف الأشرف ـ وكنتُ جاراً للسيّد فاستجازني بحق إجازتي عن شيخي النوري فأجزتهُ.».

ثم إنّ لنا إجازةً عن شيخنا العلامة الطهراني عن شيخه النوري بطرقه الخمسة إلى العلامة المجلسي المذكورة في خاتمة المستدرك ص382 فما بعدها وأنا أذكر واحدة منها وهي: الشيخ النوري عن الشيخ مرتضى الأنصاري (م1281 هـ) عن المولى أحمد النراقي (م1245 هـ) عن العلامة بحر العلوم، عن الوحيد البهبهاني، عن والده محمد أكمل، عن العلامة المجلسي رحمه الله (م1110هـ).

ولنا إجازة أخرى عن العلامة الشيخ محمد صالح المازندراني المعروف بالسمناني، عن شيخه الحاج ميرزا حسين بن الميرزا خليل الطهراني النجفي (م1326هـ) عن الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر (م 1266) عن الشيخ جعفر كاشف الغطاء (م8 ـ 1227هـ) عن العلامة بحر العلوم بطريقه المذكور عن المجلسي.(1)

وطرق العلامة المجلسي إلى أرباب الجوامع والكتب وإلى المشايخ العظام كثيرة، ذكرها الشيخ النوري في الخاتمة. وبهذا تصح لي ولغيري ممن كان أهلاً رواية أحاديث هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين.

1ـ تأتي صورة هذه الإجازات في قسم الوثائق. بخط المجيزين.

الرجاليون عند (الشيعة الإمامية) ولاسيما المتأخرين منهم قد أكثروا من جمع الأسامي وتراجم الرجال، حتى بلغ الأمر إلى أن أنهاها العلامة المامقاني في كتابه (منتهى المقال) إلى ما يقرب من ستة عشر ألفاً من المحدثين وغيرهم، مع أن علم الرجال هو معرفة حال رواة الحديث فحسب، وهذا شيء يغاير علم التراجم على العموم الذي يهدف إلى معرفة أحوال العلماء وحياتهم من دون اختصاص بالمحدثين، مع أن الفقيه لا حاجة له مباشرة إلى معرفة حال الآخرين، سوى من جاءت أسماؤهم في طريق الأحاديث، بل يحتاج إلى الوقوف على حال الرواة من حيث الطبقة ومقدار الوثوق بهم، ومعرفة مشايخهم، ومن يروي عنهم الحديث والمشتركات ونحو ذلك، معرفة عميقة أكثر من ذي قبل.

ومعنى ذلك أن مدى الحاجة إلى معرفة رجال الحديث، على حسب مقدار الحاجة إلى رواياتهم وعليه، فمعرفة رجال الكتب الأربعة تقع في الصدر، ثم معرفة رجال وأسانيد جاءت في الكتب الحديثية غير الأربعة، التي أخذ منها صاحب الوسائل، ثم من بعدهم من رجال الروايات التي أختص بذكرها كتاب (بحار الأنوار، ومستدرك الوسائل) حسب ما تقدم منا في ترتيب كتب الحديث من حيث الاعتبار عند سيّدنا الأستاذ البروجردي رحمه الله.

بل لا حاجة إلى معرفة كثير من هؤلاء المحدثين أيضاً لعدم انتهاء سلسلة أحاديث تهم الفقيه إليهم، إلاّ أن تفيدنا خبرة وبصيرة بحال من

ـ[122]ـ

يجب معرفتهم من رجال الحديث.

والأستاذ البروجردي بعد عناء وجهد طويل وصل إلى أسدّ الطرق لمعرفة الرواة، وضعه كمقياس عدل لمعرفة الحديث أمام المحدثين والفقهاء فأتى بشيء جديد لم يسبقه إليه غيره.

توضيحه أن الرجاليين عندنا كانوا ولا يزالون يتعبدون في الأكثر بقول أئمة هذا الفن وعلماء الجرح والتعديل، ويقلدونهم في إبراز الوثوق بشخص أو عدم الوثوق به وفي طليعة هؤلاء الأشخاص، الأئمة الثلاثة من الأولين:

الأول: أبو عمرو محمد بن عمر الكشي، المعاصر للكليني صاحب الكافي المتوفى عام (329 ق)، في كتابه: «معرفة الناقلين عن الأئمة المعصومين» وقد اندثر أصله وبقي اختياره للشيخ الطوسي في متناول أيدينا وقد قمت أنا بطبعة مصححة منه مع ذيل طويل في جامعة مشهد قبل حوالي عشرين سنة بمناسبة المؤتمر الألفي للشيخ الطوسي.

الثاني: الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (م450) في فهرسته، وهو من تلامذة الشيخ المفيد والشريف المرتضى.

الثالث: الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (385 ـ 460) وله كتابان في هذا المجال: كتاب الفهرست وكتاب الرجال وكلاهما مطبوع وقد طبعنا الفهرست بالأوفست مع ذيل طويل عند إقامة المؤتمر الألفي للطوسي.

فقول هؤلاء وقليل ممن عاصرهم أو تأخر عنهم ومنهم العلامة الحلي (م 728) في كتابه (خلاصة الرجال) لا زال معياراً في معرفة الرجال والطبقات، وهذا ـ ولا شك ـ طريق يعتمد عليه في النقليات إلاّ أنّ

ـ[123]ـ

الحق لا ينحصر فيه وليس وقفاً على آراء هؤلاء، بل ليس هو أوثق السبل وأحسن الطرق في معرفة الرجال، إذ لا يعدو في الحقيقة إلا أنه تقليد لهم وتسليم لرأيهم بشأن الرواة، من دون معرفتهم مباشرة وبالنظر والاجتهاد، وهناك إلى جانب ذلك، باب مفتوح أمام الفقيه والمحدث لمعرفة الرواة مباشرة، ولاشك أنه أسلم وأبعد من الخطأ، وأقرب لإبداء الرأي وحرية النظر، في حال الرواة، ولعل اعتماد هؤلاء الأئمة أيضاً كان في أول الأمر على هذا الطريق المباشر الذي صار فيما بعد نسياً منسياً، فقامت أقوالهم وآراؤهم مقام هذا العلم المباشري السليم، وأصبحت كأنها الطريق الفريد والصراط القويم عند من تأخر عنهم.

وهذا الطريق الذي اتخذه الأستاذ أساسا لمعرفة رجال الحديث ومعرفة طبقة الراوي وعصره ونسبه ونسبته، والتعرف بشيوخه والرواة عنه هو الرجوع إلى سند الروايات المتكررة في كتب الحديث وبمتابعة الأسانيد واستقراءها يظهر الخلل في كثير منها بسقوط الواسطة وعدم اتصال سلسلة السند أو تبديل اسم بإسم ويمكننا معرفة الحلقة المفقودة باستقصاء الأشباه والنظائر إذا توفرت وكثرت القرائن، وقامت الشواهد عندنا في الأسانيد المتكثرة المتوالية، كما يعرف اسمه واسم ابيه وجدّه وكنيته وربما تاريخ حياته. هذا الطريق بعينه مفتوح أمامنا للتعرف بدرجة علم الرواة وفقههم وضبطهم وأمانتهم في النقل ومذهبهم ونحو ذلك، وذلك بالرجوع إلى متون أحاديثهم المبعثرة على الأبواب، في كتب الحديث، وتقديرها من حيث اللفظ والمعنى، كماً وكيفاً فيعلم بذلك أن الراوي هل كان متضلعاً في الفقه والكلام أو السيرة والتاريخ أو التفسير، أو غيرها من المعارف، أو لم يكن له خبرة في

ـ[124]ـ

شيء منها وأنه لم يكن من الراسخين في العلم أصلاً ويجوز استنباط ذلك والإحاطة به إذا قيست رواياته بعضها ببعض وبما رواه رواة آخرون في

معناها. ثم يلاحظ أنه كان قليل الرواية أو مكثراً منها، وأنّه كان مخلطاً أو لم يكن وهكذا.

وهذا يحصل أيضا بمراجعة الأحاديث التي وردت عن الأئمة عليهم السلام بشأن الرواة من أصحابهم أو من تقدمهم وقد أبدوا فيها وثوقهم بشخص أو عدم وثوقهم به، فتعطينا صورة من حال رواة الحديث من ناحية موقفهم لدى الأئمة الهداة عليهم السلام. وقد جمع شطراً كبيراً من هذه الروايات أبو عمرو الكشّي في كتابه الذي بقي عندنا اختياره للشيخ الطوسي، وبقي شطرٌ منها متفرقة في مطاوي الكتب، ينبغي استدراكها في موسوعة كبيرة.

وبالجملة فمعرفة الرواة وطبقاتهم عن طريق أحاديثهم وملاحظتها متناً وسنداً تكاد تكون معرفة بالإجتهاد والنظر، لا بالتقليد والأثر، ومعلوم أن الإشراف على جميع روايات شخص واحد يستدعي جمعها في كرّاس واحد، وهذا ما عمله قديماً علماء الحديث من الجمهور وسموا هذا النوع من كتب الحديث (المُسند) وكان الغرض الأهم لهم من هذا العمل التلاقي مع الرجال والصحابة من خلال رواياتهم. أما الشيعة الإمامية فلم يهتموا بتأليف المسانيد وكان سيّدنا الأستاذ يحبّذ هذا العمل ويرغّب طلاب العلم وأعضاء لجنة الحديث بالاشتغال به، ولا ريب أنه خلل وفراغ في حديثنا يجب أن يُسد.

وقد بدأ جمع روايات كلّ إمام من الأئمة باسم المسند من قبل المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام في المشهد المقدّسة، وانتشر

منها لحد الان عدة مجلدات والقائم بجمعها وتأليفها العالم المتتبع الشيخ عزيز الله العطاردي نزيل مشهد. أما الذي بقي في ذمة الزمان، هو جمع روايات كلّ واحد من أصحاب الأئمة عليهم السلام المعروفين بكثرة الرواية عنهم، وقد اشتغل به بعض أعضاء لجنة الحديث في حياة الإمام البروجردي ولا علم لي بما آل إليه أمره، فهذا هو الذي يُفيدنا معرفة كبرى بحال الرواة مما يحتاج إليه الفقيه، أمّا جمع روايات إمام واحد فيوقفنا على مدى توفر اتصال الشيعة بأئمتهم واكتساب رواياتهم، وإلا فلا يزيدنا معرفة بحالهم وعلمهم، فإنهم نور واحد حسب ما ثبت في المذهب. نعم ربما يعلم منها ما كان شائعاً من المسائل في عصر كلّ إمام حيث كان يرجع الناس إليهم ويسألون عنها كما يعرف من خلال ذلك عدد من روى عنهم.

أما إذا حصلت لدينا هذه الكتب أي مسانيد رجال الأئمة عليهم السلام، فهي خير وسيلة للإحاطة بأحوالهم.

وفي رأيي أن الموجب لعدم اهتمام طائفتنا قديماً بسدّ هذا الفراغ، والقيام بتأليف مسانيد الرجال أن أكثر الرواة القدامى سواء الذين أخذوا عن الأئمة مباشرة، أو الذين لم يرووا عنهم إلا بالواسطة، كانوا قد جمعوا حديثهم في كتاب، والأصول الأربعمائة المعروفة ـ وهي تحتاج إلى الحديث عنها طويلا ـ وكثير غيرها مما نسب إلى أصحاب الأئمة كانت من هذا القبيل، فهي كانت تعتبر بمنزلة المسانيد لهؤلاء الرواة، ولكنها مع الأسف لم تصل إلينا كما هي، سوى ما نقل عنها في ثنايا كتب الحديث المعروفة، فإنه لما ظهرت الجوامع الحديثية في القرن الثالث فما بعده وجمعت بين دفتيها ما كانت في تلك الأصول والكتب من الروايات ـ

ـ[126]ـ

وقد انتظمت الجوامع الحديثية على حساب موضوع الحديث دون اسم الراوي ـ اندثرت تلك المصادر وباندثارها ذهب ذلك الانسجام والتوالي الذي كان مشهوداً بين روايات رجل واحد في كتابه أو أصله، إلاّ أنّ تلك الأصـول لما كانت في متناول الأيـدي إلى أزمنة لا يعلم حدها بالضبط، لم ير القدماء حاجة إلى تدوين مسانيد الرجال، وأما في هذا الوقت الذي نعيشه وقبله بعدة قرون حيث ضاعت تلك الاصول التي قلنا أنها كانت بمنزلة المسانيد ولم يبق منها إلا القليل النادر، فالآن نُحس إحساساً ملموساً بضرورة جمع الروايات وترتيبها على حساب الرجال بصورة المسانيد ليعود الأمر إلى ما كان ويسهل النظر فيها ولمعرفة حال رواتها من خلالها.

والحق أنّ المحققين من علماءالرجال كانوا يراجعون إلى متون الروايات وأسانيدها وكذلك إلى ما ورد بشأن كلّ رجل في كلمات أئمة الرجال أو في أحاديث أهل البيت. فمن راجع كتاب (رياض العلماء) للعلامة المتتبع الميرزا عبد الله الأفندي الإصفهاني وقد طبع في الأعوام الأخيرة باهتمام آية الله المرعشي رحمه الله، وقد كان هذا الكتاب عند العلامة المامقاني حين تأليف كتابه (منتهى المقال) واستفاد منه كثيراً وكذلك كتاب (جامع الرواة) للمحقق الأردبيلي (م1101هـ) المعاصر للعلامة المجلسي وقد جمع نسخ الكتاب الإمام البروجردي وأمر بطبعه بإشراف الحاج ميرزا حسن النوري رحمه الله، ومن مميزات هذا الكتاب الأخير أنه راجع لمعرفة شيوخ الرواة إلى كثير من أسانيد الكافي والتهذيب وغيرهما وسمعتُ أن أستاذنا البروجردي كان يقول النسبة بين عملي في ترتيب الأسانيد وبين هذا الكتاب: (جامع الرواة) العموم

ـ[127]ـ

من وجه أي بعض مافيه من الرجوع إلى الأسانيد مجموع بكامله في كتابه ولكن هناك ترجمة لحال الرواة ليس في (ترتيب الأسانيد).

كما أن كتاب معجم رجال الحديث لآية الله الخوئي فيه ميزة خاصة وهي أنه فهرس كلّ كتب الرجال وأسانيد الروايات فجمع كلّ ما فيها في ترجمة الرواة، ومع ذلك كله يجب أن نعترف بأن ما عمله الأستاذ الإمام، فريد في بابه لم يسبقه إليه أحد.

ويجب أن يعلم ان ما بقي من تآليف هذا الإمام في هذا الباب نوعان من الكتب:ـ

الأوّل: مرتب الأسانيد لكتاب الكافي وغيره من كتب الحديث والرجال.

الثاني: مرتب رجال الأسانيد من هذه الكتب وذكر طبقاتهم، ومغزى الأمرين واحد. توضيح ذلك: أن الهدف الأصلي، من هذه الموسوعة، هو معرفة الراوي من خلال استقراء الأسانيد التي اشتملت على اسم هذا الراوي ثم معرفة شيوخه الذين روى عنهم وتلامذته الذين رووا عنه; وما وقع من الخلل في الأسانيد من الإرسال أو الخلط والخطأ في الأسامي ونحو ذلك وإليكم الفرق بين الأمرين والتعريف بهاتين السلسلتين:

التعريف بسلسلة مرتّب الأسانيد

الإمام البروجردي أوّلاً قام بترتيب الأسانيد الواقعة في كتب الحديث على ترتيب مشايخ صاحب الكتاب بحسب الحروف، فرتب لكل واحد من مشايخ الكليني والشيخ الطوسي والصدوق وغيرهم باباً وجمع أسانيده من كتبهم بعضها تلو بعض، في قائمة ماثلة أمام الناظر فيقف على جميع طرق الراوي إلى الإمام عليه السلام في مكان واحد.

وبذلك وضع السيّد الأستاذ أمام المحققين ذريعة مطمئنة للاستشراف على الأسانيد وطبقة الرواة وابتدأ عمله هذا بأسانيد الكتب الأربعة ـ غير الاستبصار، لأن جميع ما فيه موجودٌ في التهذيب ـ بناء على مذهبه المشار اليه من شدة الحاجة إلى روايات هذه الكتب وأنها عمدة ما يحتاج إليه الفقيه، فرتب أسانيد كلّ منها وسمّاها «مرتب أسانيد الكافي» «مرتب أسانيد التهذيب» وهكذا، ثم انصرف إلى ترتيب أسانيد الكتب الأربعة الرجالية المتقدم ذكرها وبعض كتب الشيخ الصدوق.

نلاحظ مثلاً جميع ما ورد في الكافي مثل «علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حمّاد عن الحلبي» مرتبة في قائمة مع ذكر مواضعها

من نسخة الكافي المطبوع، وهذا السند أكثر ما وقع في كتاب الكافي، والكليني روى عن أستاذه علي بن إبراهيم أكثر من ألفي حديث.

ثم نلاحظ ان بعض هؤلاء الرواة قد يذكر اسمه فقط، وقد يُضاف إليه اسم أبيه وجده معاً أو منفرداً أو يذكر مع كنيته ولقبه، وقد يكتفي بالكنية أو اللقب من دون الاسم، وربما تسقط في السلسلة بعض

ـ[129]ـ

الحلقات، فيعرف بملاحظة غيرها من الأسانيد المشابهة، فباستيفاء الأسانيد وقياس بعضها ببعض يُعلم جميع شيوخ الرواة وتلامذتهم وطبقتهم، وما وقع في بعض الأسانيد من الإرسال والخلل والخطأ في الأسامي.

كـلام السيّد الأستاذ بهـذا الشأن

وقد شرح الأستاذ هدفه من ترتيب الأسانيد في مقدمة ترتيب أسانيد كتاب الكافي وفيها فوائد جمة لا غنى عنها لأحد ممن يهمه علم الرجال قائلاً:
«إني حين ما كنت أتصفح الجوامع العظام لتتبّع ما أودع فيها من روايات الأحكام وأراجع لتعرّف أسانيدها وما صنعه علمائنا الأعلام في جمع الرجال، وبيان أحوالهم، وفي تمييز المشتركات من كناهم وأسمائهم، وكان فكري يجول برهة من الزمان بين هذه الكتب وأسانيد الروايات، وجدتهم قد أهملوا في الرجال كثيراً من الرواة الموجودين في الأسانيد، وأهملوا في من ذكروه منهم بيان طبقته وشيوخه الذين تحمّل الحديث عنهم وتلامذته الذين تحمّلوا عنه، مع أن هذه الأمور من أعظم ما له دخلٌ في الغرض من فنهم، وعدلوا في تمييز المشتركات عما كان يليق بهم من التعرض لجزئيات ماوقع في الأسانيد من الأسماء المشتركة وتتبع مظانّ القرائن المميّزة لها، واقتصروا على ذكر كليات استنبطوها في استقراءاتهم الناقصة، كلّ على حسب تتبعه على وجه الفتوى، أو الاستشهاد بشواهد قليلة مماوجده، مما لا يوجب للمحصّـل علمـاً ولاظناً ولا يقرّبـه من المقصود باعـاً وشبراً، ولأجل

ـ[130]ـ

ذلك ترى تلك الكتب صارت كالمتروك رأساً».

«ووجدت في الأسانيد سوى الاشتراك، عللاً كثيرة أخرى من التصحيف والقلب والزيادة والنقص، قد طرأ عليها سهو الناسخين أو المؤلفين، أو اكتفاء المؤلفين في تحمّل ما أودعوه في كتبهم بالمناولة، أو الإجازة، أو الوجادة، مع عدم تبيّن الكلمات في الأصل لرداءة الخط، وغلبة ترك إعجام

الحروف في الخطوط القديمة، أو توهم التمامية في الأسانيد المعلّقة، أو عكسها، أو غير ذلك».

«ورأيت أنه يوجد غالباً، إن لم يكن دائما في سائر أسانيد الشيخ الذي وقع الاشتراك أو الاعتلال في سنده، ما يميز ذلك المشترك، ويدل على ذلك الاعتلال وما هو الصواب.

فلما تبيّن لي ذلك بكثرة التتبع وعلمت أن تتبع الأسانيد هو المنبع الفذّ الغزير لمعرفة الأسانيد وتبيّن مشتركاتها، والعلم بعللها، وما هو صوابها، وأن الذي منع المحصلين من استفادة هذه الفوائد التي يشتد ابتلاؤهم بها ولا غناء لهم عن معرفتها عن هذا المنبع الذي هو بأيديهم، إنما هو تفرق أسانيد الشيوخ بعضها عن بعض، واختلاطها بالمتون، وكون ملاحظتها آلة لملاحظة المتون وعدم كونها بجنبها مقصودة بالأصالة.

و«رأيت أنه لو جُرّدت الأسانيد عن المتون، ورُتّبت على وجه يجتمع إسناد كلّ واحد من الشيوخ في موضوع واحد أو في مواضع محصورة مضبوطة يمكن الإشارة إليها للمستدل، ويسهل وجدانها على المحصل، وعُلّق على مواضع الإجمال والاعتلال منها ما ينبه عليهما

ـ[131]ـ

وعلى ما هو المراد من الأول وما هو الصواب من الثاني مع الاستشهاد عليهما ـ إن احتاج إليه ـ بشهود حاضرة أو كالحاضرة من سائر أسانيد الشيخ، كان خدمة لعلم الحديث والعلوم المتفرعة عليه، اذ به يعلم جميع ما ذكر من الجهات التي لها دخل في تعريف أسانيد الروايات التي هي الأصل لإحراز متونها».

«ويستكمل أيضاً ما أشرنا اليه من نقائص فنّ الرجال، وتمييز المشتركات، بوجه علمي واضح المأخذ، يقدر كلّ طالب على النظر فيه والاستنباط منه، ويُرجى بذلك أن يتوارد عليه أفكار المحصلين ويتسع نطاقه بذلك» إلى آخر ما قال....

وينبغي التنبيه هنا على أمور:

1 ـ أنه وقع في أول جملة من أسانيد كتاب الكافي التعليق على غيرها من الأسانيد فلم يُذكر واحدٌ أو أكثر من رجال السند، اتكالاً على ما تقدمها من الأسانيد فيظـن من لا خبرة له أن الرجل المذكور في أول السند هو من مشايخ الكليني مثل سهل بن زياد الآدمي وليس من مشايخه، والأستاذ الإمام عالج هذا الأمر فيما رتّبه من الأسانيد، فذكر الراوي المذكور في الجدول في مكانه أي بعد الأوّل أو بعد الثاني ويعلم المعلّق عليه بملاحظة

سائر الأسانيد الكاملة ويخرج السند بذلك عن الإرسال ولذلك ذكر الأستاذ ثلاثة من هؤلاء وهم سهل بن زياد وأحمد بن محمد بن عيسى، وأحمد بن محمد بن خالد في المقصد الثاني من الكتاب.

ـ[132]ـ

2 ـ أما بالنسبة إلى كتابي التهذيب والاستبصار، فجدير بالذكر أن الشيخ الطوسي مؤلف الكتابين، أخذ جميع ما يرويه فيهما من كتب وجوامع ظهرت في القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري، وكان من عادته إيراد طريقه إلى صاحب الكتاب الذي أخذ منه الحديث، في أول كلّ حديث، فعمل بذلك في شطر من الكتابين، ثم رأى أنه يوجب التطويل، فانصرف عنه واكتفى باسم صاحب الكتاب في أول السند، علماً بأن الشيخ استدرك ما انصرف عنه في خاتمة الكتابين فعقد فصلاً باسم (المَشْيِخة) ذكر فيه طرقه إلى أرباب تلك الكتب التي أخذ منها لتخرج الأحاديث بذلك عن المراسيل وتلحق بالمسندات وقد سبقه إلى هذا العمل الشيخ الأقدم أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي في كتابه «من لا يحضره الفقيه» إلاّ أنه اكتفى في الكتاب بذكر من روى الحديث عن الإمام عليه السلام مباشرة، ثم ذكر طريقه إلى هؤلاء في (المَشْيِخَة).

وتبعه محدّثون آخرون. كلّ ذلك احترازاً عن التكرار والتطويل.

3 ـ وهناك أمور أخرى يجب معرفتها لمن يريد أن يحيط علماً بما رتبه السيّد الأستاذ تحت عنوان (مرتب الأسانيد) أعرضنا عنها اكتفاء بما ذكره الأستاذ في مقدمة كتابه «مرتب أسانيد الكافي».

التعريف بسلسلة كتب مرتّب رجال الأسانيد

يبدو أنّ هذه السلسلة من الكتب هي ثمرة النوع الأول، أي أن الأستاذ الإمام لما رتب أسانيد عدّة من كتب الحديث والرجال،

ـ[133]ـ

وعاد إلى استخراج طبقات الرواة من خلال تلك الأسانيد المرتبة، فوضع بجانب مرتب الأسانيد لكل كتاب (مرتب رجال الأسانيد) من تلك الكتب وهذا العمل لم يكن ميسوراً إلاّ بعد جمع الأسانيد في النوع الأول من هذه الموسوعة.

وحاصله أن الأستاذ الإمام راجع إلى تلك الأسانيد فاستخرج منها طبقة الراوي وأسامي من روى عنهم ومن رووا عنه، فرتب هؤلاء الرجال لكل كتاب بترتيب الحروف، وذكر أمام اسمه طبقته ومشايخه والذين رووا عنه من دون ذكر تراجمهم والتعريف بهم إلاّ على سبيل الإجمال.

وبذلك احتاج أولاً إلى ترتيب طبقات الرواة التي كانت من فنون علم الرجال عند أهل السنة وبشكل آخر عند الشيعة، لكن الأستاذ الإمام له طريق مبتكر تصدى لشرحه في مقدمة كتاب مرتب أسانيد الكافي وهذا نصه:

«المقدمة الثانية: في بيان طبقات المحدّثين:

إعلم أنك إذا نظرت إلى الشيوخ الذين كانت لهم عناية بالأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن بعده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم، واشتغلوا برهة من أعمارهم بطلبها، وأخذها عمن تقدم من أساتذتهم، وبرهة أخرى منها بروايتها لتلامذتهم الذين لم يدركوا هؤلاء الأساتذة، ورتّبتَهم على وجه يتميز الشيوخ في كلّ عصر عن التلامذة، وجدتَ طبقاتهم من الصحابة الذين رووا الحديث عن رسول الله (ص) إلى عصر الشيخ الموفّق أبي جعفر الطوسي، الذي

هو آخر مصنفي الجوامع الأربعة من أصحابنا ـ وقد ولد سنة 385 وتوفي سنة 460 هـ . ق ـ فيما إذا كان جميعهم قد عُمّر عمراً متعارفاً، وتحمّل الحديث في سنّ يتعارف تحمّله فيه، اثنتي عشرة طبقةً.

وبعبارة اخرى اذا روى الشيخ قدس سره منا، أو الخطيب البغدادي المتوفى سنة 463 هـ ق من الجمهور حديثاً مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفرضنا أن الرواة المتوسطين بينهما وبينه «صلى الله عليه وآله»، كلهم قد عُمِّروا العمر المتعارف وأخذوا الحديث في السنّ المتعارف أخذه فيه، كان سندها مشتملاً على اثني عشر رجلاً غالباً أو دائماً.

وأما اذا كان بعضهم طال عمره بحيث عاصر رجلين من عُمّر متعارفاً أو تحمّل الحديث قبل أوانه المتعارف فأخذ عن طبقتين، أو انضم الأمران صار رجال السند أقل، وكان عالياً في اصطلاحهم، وكلّما كان أمثال هؤلاء في السند أكثر كانت الوسائط أقل والسند أعلا.

كما أنه إذا كان في السند من روى عن معاصره ومن هو في طبقته، كان رجال السند أكثر مما ذكر وصار طويلاً، وعلى الأول بنينا عدد الطبقات، وجعلناها إلى طبقة الشيخ اثنتي عشرة طبقة» انتهى موضع الحاجة من كلام الأستاذ الإمام. ثم ذكر الطبقات واحداً بعد الآخر مشيراً إلى جملة

من رجال كلّ طبقة. وبملاحظتها يظهر أن صحابة النبي أكثرهم من الطبقة الأولى ومنهم من يطول عمره حتى يعاصـر الطبقـة الثانيـة، وهكـذا تتـوالى الطبقـات، وكبـار أصحـاب الإمـام جعفـر بن محمـد الصـادق (عليه السلام) أمثـال زرارة،

ـ[135]ـ

هم من الطبقة الرابعة، وصغارهم من الطبقة الخامسة، وأكثر رجال الإمام الرضا عليه السلام هم من الطبقة السادسة. قال الأستاذ: «والغالب في هؤلاء الطبقة هو كون ولادتهم في حدود سنة خمس وأربعين ومائة، إلى ست وستين ومائة، وكون وفياتهم في حدود سنة عشر ومائتين إلى ثلاثين ومائتين».

وذكر من هذه الطبقة من الشيعة محمد بن أبي عُمَير ويونس بن عبد الرحمن ونظرائهما، ومن علماء أهل السنة: محمد بن إدريس الشافعي وغياث بن كلّوب بن فيهس.

كما ذكر في أبناء الطبقة السابعة: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، والحسن والحسين ابني سعيد الأهوازيين، وعبد العظيم الحسني، وكثيراً من نظرائهم.

وقال: «والغالب على هذه الطبقة هو كون ولادتهم في حدود خمس وثمانين ومائة، إلى سنة مائتين ووفياتهم في حدود ستين ومائتين إلى سبعين ومائتين».

أقول: وينبغي أن يُعدّ الإمام أحمد بن حنبل المتوفى عام 241 من أبناء هذه الطبقة.

وذكر من رجال الطبقة التاسعة: الشيخ الكليني، وأحمد بن داود القمي، وأحمد بن يحيى العطار، والشيخ أبا القاسم الحسين بن روح وكيل الناحية المقدسة، وعلي بن الحسين بن بابويه والد الشيخ الصدوق.

قال الأستاذ: «والغالب في هذه الطبقة هو كون ولادتهم في حدود

ـ[136]ـ

ست وستين إلى سبعين ومائتين ووفياتهم في حدود ثلاثين إلى خمسين وثلاثمائة».

وذكر من جملة رجال الطبقة العاشرة الذين لم يتحمّلوا الحديث عن الأئمة المعصومين مباشرة، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين، وأخاه

الحسين، وجعفر بن محمد بن قولويه القمي (على تأمل فيه)، ومحمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي ومحمد بن إسحاق النديم صاحب الفهرست، وهارون بن موسى التَلّعُكْبري. قال الأستاذ: «والغالب في هؤلاء هو كون ولادتهم في حدود تسعين ومائتين إلى عشر وثلاثمائة ووفياتهم في حدود ستين إلى ثمانين وثلاثمائة».

ومن رجال الطبقة الحادية عشر: الشيخ المفيد ونظرائه.

والشيخ الطوسي يقع في الطبقة الثانية عشر، والغالب على هذه الطبقة موتهم في حدود 450. ثم ختم الأستاذ هذا البحث بذكر نكات مهمة: منها أن مشايخ الأستاذ الإمام من رجال الطبقة الست والثلاثين، وهو نفسه يقع في الطبقة السابعة والثلاثين.

وأقول: هناك رجال لا تعلم طبقتهم بالضبط وفي مثل هؤلاء قال السيّد الأستاذ في ترتيب رجال الأسانيد: (كأنّه من الطبقة السابعة، أو نحو هذا الكلام.)

حكاية قصة هذه الموسوعة

إنّ ما ينشر من هذه الموسوعة بعنوان (مرتب الأسانيد) و(مرتب رجال الأسانيد) أو ترتيب الأسانيد وترتيب رجال الأسانيد لأمهات كتب

الحديث والرجال، كلها تأليف سيّدنا الأستاذ ألف أكثرها في بلدة بروجرد ثم لما انتقل إلى قم، جدّد النظر فيها في لجنة كانت تخص (علم الرجال) من أشخاص معدودين في داخل البيت في قبال لجنة الحديث التي انعقدت متأخرة عن تلك اللجنة بسنين، في البيت الخارج (بيروني) في جماعة يتراوح بين 20 إلى 24 شخص التي تشعّبت فيما بعدلجنتين ووزّعت كتب (الوسائل) بينهما.

ثم بعد أن جدّد الأستاذ النظر في هذه الموسوعة الرجالية، وضعها تحت يد صديقنا الراحل حجة الإسلام الشيخ ميرزا حسن النوري الهمداني، ليحرّرها من جديد مع شيء من الإكمال تحت إشراف الأستاذ وكلّ ما يطبع الآن من هاتين السلسلتين اي (مرتّب الأسانيد) و(مرتب رجال الأسانيد) هي بخط الشيخ النوري رحمه الله سوى جزء واحد وهو (مرتب رجال أسانيد من لا يحضره الفقيه) فهو بخط المغفور له حجة الإسلام السيّد حسن ابن الأستاذ.

وقد حكى لي صديقنا النوري قصة اتصاله بالسيّد الأستاذ وسبب اختياره إياه لتحرير هذه الكتب، وهي أنّ الشيخ النوري كتب رسالـة إلى السيّد الأستاذ في حاجة له، فلما نظر فيها الأستاذ ورأى جودة خطّه ـ وكان يعجبه الخط الحسن ـ طلبه فنظر إليه برهة، ثم قال له: لي كتب ألفتها، وهي ثمرة حياتي أريد أن تُحرّرها لي من جديد، فأعلن الشيخ النوري استعداده لذلك، فقرّر له الأستاذ وقتاً في كلّ يوم يحضره، في غرفته الخاصة التي كان الأستاذ يعيش فيها ليل نهار وكانت حول الغرفة (طبقة الكتب) التي كان يَمرّ عليها دائماً. فأعطاه كتاباً

ـ[138]ـ

كتاباً وعلّمه كيف يرتّبها ويكمّلها. قال الشيخ النوري: إن الأستاذ الإمام كان يقول لي في بعض الأحيان: إنك مشارك لي في هذه الكتب وفي أجرها عند الله، وطال هذا العمل أكثر من خمسة عشر عاماً، وكان الشيخ النوري يعمل عمله مفرداً لا في لجنة، إما في بيته، وإما في بيت السيّد الأستاذ إلى جانب لجنة الحديث، فكان يأتينا كلّ يوم ويأخذ دفاتره من خزانة الكتب التي كانت في الغرفة، ويجلس زاوية ويكتب، ولا أنسى أنه في كلّ يوم يدخل الغرفة ينادي نبياً من الأنبياء مثلاً (ياشعيب) أو (يا ذا الكفل) أو غيرهما من أنبياء بني اسرائيل وكان هذا نوع من الفكاهة منه، وفي بعض الأيام حينما كان يدخل الغرفة، أنا كنت أبتدأه بالكلام: شيخنا اليوم النوبة لأي الأنبياء؟ فكان يقول مثلاً جرجيس»!!!.

وحينما كان يشتعل البحث بين أعضاء لجنة الحديث في شيء من عملهم ـ وكان كثيراً ما يقع وترتفع الأصوات إلى أن تتحول المباحثة إلى نوع من المنازعة ـ فكان الشيخ النوري يستمع إلينا، وربما يتدخل في البحث مازحاً بكلمة أو كلمتين من أجل المصالحة وإدخال السرور.

لقد عشنا حوالي سبع سنين هذا العمل، ومن ذلك الحين استحكمت الصداقة بيني وبين الشيخ النوري واستمرت هذه الصداقة إلى آخر أيام حياته ـ وقد توفي رحمه الله في تاريخ (1410 هـ . ق) وهو راحل إلى بلدة (سيرجان) لإلقاء الخطابة ـ وكان خطيباً بارعاً ـ في شهر رمضان هناك، على اثر حادث السيارة، هو مع عدد ممن كانوا معه في تلك الرحلة فتأثرنا كثيراً: وأقول هنا بصراحة إنه في طول هذه السنين الطوال التي قاربت الأربعين سنة، لم يكن لي صديق أقرب منه إليّ وكان

ـ[139]ـ

يفتّش الأمور، ويعلم الكثير من الحوادث داخل الحوزة العلمية ويعرف من أحوال الأشخاص مالا يعرفه غيره، وقد حصل لديه خبرة في علم الرجال ولاسيما في طريقة السيّد الأستاذ على حدّ لا يوازيه أحد، وقد أعدّ القصاصات مستكملاً آثار السيّد الأستاذ، لكتب الحديث والرجال التي

يرتب الأستاذ أسانيدها ورجالها، من جديد وأضاف إليها أسانيد كتب الصدوق وعَرَضها على الأستاذ فاستصوبه وكان يقول لي: عندي في البيت قسط كبير من هذه القصاصات يمكنني ترتيب أسانيد كلّ من تلك الكتب إذا شئت من جديد، مثل ما حررته للأستاذ ورتّب منها نموذجا من أسانيد التهذيب ونُشِرت مع مقدمتي في كتاب «الذكرى الألفية للشيخ الطوسي رحمه الله» الحاوي للمقالات العربية للمؤتمر الألفي له.

ومهما كان الأمر، فقد تمت كتابة هذه الكتب في سلسلتين ـ كما شرحنا ـ وكانت عند الأستاذ الإمام في مكتبته وكان يراجع إليها ويصحّحها بخطه، أو يرتب فهرساً لبعضها مما يلاحظه الناظر فيها.

إلى أن ارتحل إلى ربه ولم يُنشر منها شيء وكلّ من يعرف عنها شيئاً، أو سمع بها، كان يتمنّى طبعها، علماً بأنها من ذخائر الآثار في علم الرجال. وأنا كنت من جملة من كان يسعى دائماً في هذا السبيل، إلى أن وفق الله تعالى (مجمع البحوث الإسلامية = بنياد پژوهشهای إسلامی) التابع للآستانة الرضوية، لنشرها لأول مرّة (بالأوفست) وكلها بخط صديقنا الشيخ النوري سوى واحدة هي بخط المغفور له السيّد محمد حسن كما مرّت بنا.

طبع هـذه الموسوعة

وأمّا قصة طبعها أني اتصلت بالشيخ النوري مُصرّاً وملحّاً بأن يتّصل بنجل السيّد الأستاذ حجة الإسلام السيّد محمد صادق الطباطبائي البروجردي ـ وكانت المخطوطات تحت يده ـ وهو ابن حجة الإسلام والمسلمين المغفور له الحاج السيّد محمد حسن الطباطبائي الابن الأكبر للسيّد الأستاذ، فاتّصل به كما اتصل بكبير هذه الأسرة وعالمهم الأكبر آية الله السيّد محمد باقر الطباطبائي نزيل قم المعروف (بالسلطاني) فاستمر العمل من قبل هؤلاء مشكورين كما دام العمل من قبلي ومن قبل حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر الإلهي، عميد مجمع البحوث الإسلامية حتى توافقنا جميعاً ووافقت الهيئة المديرة لمجمع البحوث ـ مشكورين ـ على طبعها بالأوفست.

فوضعت المخطوطات الموجودة من الآثار الرجالية للسيّد الأستاذ تحت يد (مجمع البحوث الإسلامية) ووافق على نشرها ممثل ولي أمر المسلمين والمتولي للآستانة المقدسة، سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عباس الواعظ الطبسي حفظه الله تعالى ـ بعد أن وقف على عظيم

فائدتها ومسيس الحاجة إليها فشكر الله مساعيه الجميلة في حقل العلم والعمل والعمران والسياسة.

فقام مجمع البحوث بالعمل بمباشرة الشيخ النوري رحمه الله فبدأ بتجديد النظر في نسخة (ترتيب أسانيد الكافي) و(ترتيب أسانيد التهذيب) وأكمل ما كانت فيهما من النقيصة بعرضها على النسخ التي

كانت بخط السيّد الأستاذ ـ وكلّها موجودة عندنا والحمد لله.

مقدمـة الشيخ النـوري

وللشيخ النوري مقدمة على (ترتيب أسانيد الكافي) ذكر فيها عمله في هذا الجزء كما يأتي:

أولاً: لما كانت أرقام الأسانيد موافقة للطبع الحجري من الكافي، رتّب هو فهرساً للأبواب طبقاً للطبع الجديد من الكافي (طبعة الشيخ الآخوندي) تسهيلاً للوقوف على الأسانيد في هذه الطبعة وهذا الفهرس يُطبع في أول الكتاب.

ثانياً: رتّب مستدركات لهذا الجزء إكمالاً له وجعلها في آخر هذا الجزء.

وكذلك رتّب فهرساً للتهذيب موافقاً للطبع الجديد وفهرساً آخر كذلك لكتاب الاستبصار. علماً بأن الأرقام الموجودة في النسخة المطبوعة موافقة للطبع الحجري من التهذيب ولم تُطَبّق على الاستبصار فمن راجع هذين الفهرسين يمكنه الوقوف على مواضع الأسانيد في التهذيب والاستبصار من الطبع الجديد (طبعة الشيخ الآخوندي).

صورة إجازات المشايخ للسيّد الأستاذ

ثم ألحق بالمقدمة ثلاث إجازات لثلاثة من كبار مشايخ السيّد الأستاذ، أجازوه تقديراً لعلمه وتصريحاً باجتهاده وإدخالا له في سلسلة رواة الحديث وهؤلاء هم:

1 ـ أستاذه الأكبر، آية الله العظمى، أستاذ المتأخرين، المحقق المدقق، الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب كتاب كفاية الأصول (المتوفى عام 1329) تاريخها عام 1328 الهجرية، وهي السنة التي غادر السيّد الأستاذ النجف الأشرف إلى موطنه (بروجرد) وما كتبه المحقق الخراساني في حق هذا التلميذ يُعدّ أعلى شهادة أستاذ لتلميذه، فمن جملتها: (فله كلّ المناصب الثابتة للمجتهد المطلق: من الإفتاء والقضاء وغيرهما، ويجب على الناس اتباع حكمه، وحرم عليهم ردّه ونقضه...) وفيها إجازة رواية الحديث بكلّما صحّت له روايته عن مشايخه العظام ـ ولم يذكرهم ـ وفيها أن السيّد استفاد من محضره جُلّ المسائل الأصولية وعُمُد المسائل الفرعية.

2 ـ العلامة المحقق المتتبع آية الله العظمى الشيخ فتح الله الغروي الشيرازي الإصبهاني، المشتهر بـ(شيخ الشريعة) (1266 ـ 1339 ق) وفيها إجازة لرواية الحديث ذكر فيها مشايخه وطرقه، وتاريخها: ليلة غرة ربيع الثاني من شهور سنة 1328 هـ ـ وهي أيضاً نفس سنة رجوعه إلى موطنه وهذا الشيخ لم يصرّح فيها بأنّ السيّد حضر درسه وفيها تصريح بأنّه استجازه فأجازه.

3 ـ الأستاذ الكبير في إصفهان آية الله العظمى السيّد ابو القاسم الدهكردي (م1353) تاريخها ليلة الرغائب من شهر رجب المرجب عام 1320 وهي السنة التي غادر السيّد الأستاذ إصفهان راحلاً إلى النجف الأشرف. أو غادرها عام 1319 هـ إلى بروجرد ثمّ منها إلى النجف عام 1320 هـ كما تقدم في الهامش.

ـ[143]ـ

وفيها إجازة رواية له عن مشايخه العظام ذكر واحداً منهم، وهو تاج الفقهاء والمجتهدين، الميرزا محمد هاشم الإصبهاني، عن الشيخ مرتضى الأنصاري رحمهما الله تعالى. ثم ثناه بطريق آخر عن أستاذه الآخوند الخراساني رحمه الله تعالى، فلاحظ.(1)

والجدير بالذكر أن الإجازات التي وقف عليها شيخنا النوري ـ وقد رأيتها أنا ـ لم تكن بخطوط أربابها، فكتبها بخطه، ولو وجدت خطوطهم يجب تصويرها في مقدمة هذا الكتاب.

ومن حسن الحظ أن حجة الإسلام السيّد محمد صادق الطباطبائي نجل الأستاذ الإمام وقف بعد ذلك على خطوط هؤلاء المشايخ بما فيها رسالتان من أستاذه الخراساني إلى والده يوصيه بولده وأمره في الرسالة الثانية بأن يُعلن الناس أنه بلغ أعلا مراتب الاجتهاد حتى يُقدّروا قدره. وقد قمنا بتصويرها جميعاً في هذه المقدمة ولله الحمد على هذا التوفيق.

مجموع ما في هذه الموسوعة الكبيرة من الكتب

المجلد الأوّل: ترتيب أسانيد كتاب الكافي. وللسيّد الأستاذ رحمه

____

1) لم يصرّح السيد الدهكردي أيضاً في إجازته بأنّ السيد الأستاذ تتلمذ له، بل يعبّر عنه بقوله «وهو أخونا الروحاني وصديقنا الإيماني...». ويؤيد هذا أنّ للسيد الدهكردي المتوفى عام 1353 هـ ـ كما قلنا ـ طريقا إلى كتب الحديث إجازة عن شيخه وأستاذه الآخوند الخراساني، فهو يعدّ معاصرا ومشاركا للسيد الأستاذ في الدرس لكنه كان متقدما عليه في السن، وفي الطبقة بعض الشيء.

الله مقدمة شاملة لهذا الجزء ذكر فيها سبب تأليف الكتاب، وفيها فوائد مهمة استفدنا منها كثيراً في هذا التصدير ومن جملتها ضابطة طبقات الرواة التي ابتكرها الأستاذ الإمام رحمه الله كما مرت بنا.

وللشيخ النوري رحمه الله أيضاً مقدمة على هذا الجزء طبعت بخطه وقد تكلّمنا عما ذكره في هذه المقدمة.

المجلد الثاني: ترتيب أسانيد كتاب التهذيب. وفي أوّله مقدمة للأستاذ الإمام ذكر فيها أنه بعد فراغه من تجريد أسانيد الكافي عن متونها وترتيبها على الشيوخ والتعليق عليها ـ وهذا هو ترتيب أسانيد الكافي ـ شرع في ترتيب أسانيد روايات التهذيب، وقبل الشروع في المقصود قَدّم أموراً، وبدأ الأمر الأول بترجمة موجزة للشيخ الطوسي، لكنه لم يُوفّق لإتمام المقدمة، ولم يخرج من الأمر الأول ـ حسب ما عندنا من النسخة ـ إلى غيره مما أراد التّنبيه عليه.

المجلد الثالث: وفيه ترتيب أسانيد خمسة من كتب الشيخ الصدوق وهي:

1 ـ ترتيب أسانيد كتاب الخصال.

2 ـ ترتيب أسانيد كتاب معاني الأخبار.

3 ـ ترتيب أسانيد كتاب علل الشرايع.

4 ـ ترتيب أسانيد كتاب ثواب الأعمال.

5 ـ ترتيب أسانيد كتاب عقاب الأعمال.

وكلّها بخط الشيخ النوري حتى الفهارس، ولم نقف فيها على أثر من خط سيّدنا الأستاذ، وكأنه لم ينظر فيها ـ وهذا بعيد ـ أو نظر عابراً،

ولم يعلق عليها، لكن تعليقاته التي كانت في نسخة الأصل نقلت إليها بخط الشيخ النوري رحمه الله.

المجلد الرابع: ترتيب رجال أسانيد الكافي وفهرس هذا المجلد بخط سيّدنا الأستاذ كما أن تعليقاته بخطه أيضا توجد فيه بكثرة.

المجلد الخامس: وفيه ثلاثة مما يتعلق بكتب الشيخ الصدوق وهي:

الأول: ترتيب أسانيد كتاب «من لا يحضره الفقيه» بخط الشيخ النوري رحمه الله. وفهرس هذا الجزء من حرف الألف إلى حرف الخاء، بخط الأستاذ الإمام، ومن حرف الدال إلى آخر الحروف بخط غيره. وليس له مقدمة، وفي أوله بياض بمقدار 14 صفحة تركها لمقدمة السيّد الأستاذ التي لم يُوفّق لكتابتها، أو كتبها ولم تُصدّر بها نسختنا هذه، وأنا لا أنسى ما كان يقوله الشيخ النوري: أن السيّد الأستاذ في بعض الأوقات يأمرني بترك أوراق بياض لما كان يريد أن يلحقه بالكتاب.

الثاني: ترتيب رجال أسانيد كتاب «من لا يحضره الفقيه» بخط ابن السيّد، المغفور له حجة الإسلام السيّد محمد حسن الطباطبائي وهذا هو الجزء الوحيد في هذه الموسوعة الذي طُبع بغير خط الشيخ النوري رحمه الله.

الثالث: ترتيب أسانيد كتاب الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله من دون مقدمة ولا تعليق ولاأثر من خط سيّدنا الأستاذ.

المجلد السادس: رجال أسانيد (أو طبقات رجال) ثلاثة من كتب الرجال والفهارس وهي:

1 ـ رجال الشيخ الكشّي.

2 ـ فهرست الشيخ الطوسي.

3 ـ فهرست الشيخ النجاشي المعروف بـ(رجال النجاشي).

وليس لهذه الأجزاء مقدمة سوى سطور. كما هو دأب الأستاذ لكل كتاب في أوله ولم نقف فيها على خط للأستاذ الإمام.

المجلد السابع: ترتيب رجال أسانيد التهذيب (أو طبقات رجالها) وهو كبير يقع في 1341 صفحة، ولا مقدمة لها مفصلة سوى سطور كالعادة، ويُوجد في الصفحات 205 و206 و240 وربما في غيرها خط الأستاذ الإمام وتعليقات كثيرة منه بخط الشيخ النوري رحمه الله.

وفي الختام يجب الإلمام بأمرين:

الأول: أن السيّد الأستاذ رحمه الله كان بصدد جمع ترتيب رجال الأسانيد في كتاب مبسوط وقد شرع فيه في جلسة حضرتها أنا وكان كلّ كتاب منها بيد أحد الحاضرين، فبدأ بقوله (آدم بن إسحاق) وقال للآخرين أن يذكروا ما في النسخة التي عندهم وكتبها كاتب، ولكن هذا العمل لم يكرّر، فلم يوفّق لما كان بخلده رحمه الله تعالى.

وفي برنامج (مجمع البحوث الإسلامية)، أن يقوم بهذا العمل بطريق علمي مستفيداً من آلة (الكمبيوتر) وأنا بدوري لو قدر الله حياتي سأكون إن شاء الله في خدمة مجمع البحوث لإتمام هذا المشروع العظيم، بأن يُرتّب أسانيد هذه الكتب وغيرها من أمهات كتب الحديث والرجال من جديد في كتاب واحد، يَضمّ أسانيد الكتب بعضها إلى بعض بعد استقراءها وإدخالها (الكمبيوتر) وهذا عمل كبير لا يتمّ إنجازه

إلاّ باشتراك جماعة من ذوي الخبرة في علمَي الحديث والرجال. ومعلوم أن ما ابتكره الأستاذ الإمام رحمه الله سوف يكون أساساً لهذا المشروع ولمشاريع أخرى من هذا القبيل.

الثاني: إنه يجب الاعتراف بأن ما ينشر الآن من هذه الموسوعة الكبيرة، توجد فيها نقائص إملائية علماً بأنّها كتبت حسب الإملاء المرسوم قديماً مما لا يوافقه الأسلوب السليم المعمول في هذا العصر، وأيضاً توجد فيها أشياء من التصحيف والخطأ في الأسامي والأرقام أو سقوطها. لا يمكن رفعها من هذه النسخ التي كانت العناية ـ بعد مشاورة وبحث طويل ـ مركزةً على نشرها كما هي، وبنفس الخط والأسلوب احتفاظاً على أصالتها ـ وصحة نسبتها إلى السيّد الأستاذ البروجردي رحمه الله.

وهذا اعتذار منّا عما فيها من النقص، فإنه لا ينبغي أن يُعّد تقصيراً مناّ. ومما يقوّي هذا العذر أن الذي كان يُرجى قيامه بهذا الأمر الخطير، هو الشيخ النوري، وقد أغتيل عنا بيد التقدير وفارقنا قبل أن يستكمل ما وُضع

على عاتقه وكان يتابع العمل بجدّ لولا مجيء الأجل، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أمّا بعد فنحمد الله تعالى على أن وفّقنا لتصدير هذه الموسوعة القيّمة، وهي من نتاج أستاذنا الأكبر وشيخ مشايخنا آية الله العظمى سيّدنا البروجردي الطباطبائي وكان يقول بشأنها وبشأن كتاب (جامع أحاديث الشيعة):

أنهما ثمرة حياتي، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عن

الإسلام وأهله، وعن العلم والعلماء خير جزاء العاملين. وغفر الله تعالى لابنه الراحل السيّد محمد حسن الذي كان له مشاركة في هذه الآثار ولتلميذه الفاضل القائم بمتابعة إكمال هذه الموسوعة، والساعي لإخراجها إلى آخر أيام حياته الشيخ ميرزا حسن النوري الهمداني، ويجعلها ذخيرة ليوم معاده، ورضي الله عنه وعنا بمحمد وآله الطيبين، كما نشكر مرة ثانية نجل السيّد الأستاذ حجة الإسلام السيّد محمد صادق الطباطبائي حيث وضع المخطوطات بسماحة بالغة تحت اختيارنا. وأيضاً نشكر الله على أن وفّق (مجمع البحوث الإسلامية) وهيئتها الإدارية، ومديرها حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر الإلهي الخراساني لنشرها، وقد كان هو ولا يزال مهتماً بهذا العمل العظيم وتحمّل في سبيله ما لا يحصى من المشاق والصعوبات وهو يستمر في عمله إن شاء الله تعالى إلى نهاية المطاف.

كما أن الأخ الفاضل رضا مرواريد مساعد مجمع البحوث الثقافي له أيادي ومساعي كبرى في طبع هذا الكتاب يجب أن يقدّر ويشكر وفّقه الله لمتابعة عمله بمحمد وآله.

الفصل الرابع: الرسائل والإجازات

الفصل الرابع:

الرسائل والإجازات

ـ[150]ـ

ـ[151]ـ

إجازة آية الله العظمى السيّد أبي القاسم الحسيني

الدّهكُردي عام 1320 هـ لسيّدنا الأستاذ آية الله

البروجردي رحمة الله عليهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجرى في قُلُوب أوليائه ينابيع الحكمة وفضّلهم على سائر خلقه بالعلم والمعرفة، والصلاة على المبعوث على كافّة الأنام بالملّة السمحة السهلة وعلى آله الأمجاد نجوم سماء الهداية. وبعد فلمّا كانت مشيّته تبارك وتعالى تعلّقت بحفظ هذا الدين القويم والصراط المستقيم والشريعة الغرّاء والملة البيضاء عن الزيغ والزلل والتحريف والخلل فَرضَ كفايةً على الأنام تحصيل العلم بالأحكام ومعرفة الحلال والحرام فندبهم إلى ذلك وحثّ ورغّبهم وبعثَ إذ جعل العلماء ورثة الأنبياء ومدادهم أفضل من دماء الشهداء، والنظر إليهم عبادة

ـ[152]ـ

والمجالسة معهم سعادةً فبادر إلى تلك السعادة العظمى والمنزلة العليا في كلّ قرن من القرون الخالية جماعة من الأزكياء الأصفياء فصرفوا جهدهم وبذلوا مهجتهم حتى فازوا بتلك السعادة ونالُوا تلك الفضيلة فجزاهم الله عنّا خير الجزاء. وممن تصدى لهذا الخطب العظيم والثواب الجسيم جناب العالم العامل والفاضل الكامل صاحب الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة مهذب القوانين المحكمة ومحقق القواعد المتقنة المضطلع الخبير بالفصول الأصولية والمتعمّق الفكوُر في الفروع الفقهية الخارج بحمد الله تعالى عن ذل التابعية إلى عزّ الاستقلال والبالغ ـ والشكر لله ـ إلى مرتبة الاجتهاد والاستدلال، وهو غاية المراد للمشتغلين ونهاية المرام للفضلاء المحصلين فكثّر الله في العلماء أمثالهُ واعطاهُ الله آمالَهُ وهُو أخونا الروحاني وصديقنا الإيماني المُبرّأ من الشّين مولانا آقا حُسين نجل الزكي والخلفُ الصالح الوفي للسيّد الجليل والسند النبيل نور حدقة السيادة ونور حديقة النّبالة قرة عيون أساطين العلماء وفلذة كبد أعاظم الفقهاء سيّدنا الولي الصفي مولانا حاجي آقا علي المتوطن في بلدة بروجرد، فإنه دام توفيقه قد تحمّل الأذى والمشقة وآثر الاعتزال والغربة وانقطع من الأوطان والأحبة لتحصيل العلوم الشرعية وتكميل المباني الدينية فاشتغل في تحقيق المباني والدلائل غاية الاشتغال وعكف على درسه وبحثه عكوف المتعطّش على الزّلال فحصل له ملكةُ الاجتهاد والاستنباط وأنال رُتبة التصرف فيما للحاكم الشرعي التصرف فيه.وأجزت له دام مجده أن يروي عني كلما برز مني من التصانيف والتآليف مثل كتاب ينابيع الحكمة والوسيلة والذخيرة

ـ[153]ـ

وفّقني الله لإتمامها وما علّقته على النخبة الشريفة الرّسالة العملية وأن يروي عني كلما صحّت لي روايته من الكتب الأربعة للمحمدين الثلاثة المتقدمة الفقيه والكافي والتهذيب والاستبصار التي عليها المدار في سائر الأعصار والأمصار والوافي والوسائل والبحار للمحمدين الثلاثة المتأخرة وسائر الكتب المعتمدة عند العصابة الشيعة المحقة من الأخبار والأذكار والأدعية بأسانيدي المتصلة وطرقي المتعددة عن مشايخي العظام إلى إسناد ينتهي إلى أجدادي الكرام الأئمة المعصومين سادات الأنام ولضيق المجال أقتصر على بعضها فإنّ فيه حصول المرام.

فمنها روايتي بحق إجازتي عن السيّد السند والحبر المعتمد البحر الزاخر والدّر الفاخر تاج الفقهاء والمجتهدين شمس العلماء المحقّقين الميرزا محمد هاشم الإصبهاني روّح الله روحه الشريف عن طود العلم والنُّهى اية الله في الورى الشيخ مُرتضى الأنصاري الدزفولي عن شيخه النّحرير المولى أحمد النراقي عن شيخه وسيّده بحر العلوم السيّد مهدي الطباطبائي النجفي عن خاتمة المجتهدين الآقا محمد باقر البهبهاني عن والده الأفضل محمد أكمل بجميع أسانيده التي منها ما يرويه عن العلاّمة المجلسي بجميع طرقه المذكورة في إجازات البحار.

ومنها ما أرويه إجازة عن علاّمة العلماء المحققين شمس الفقهاء والمجتهدين المنتهى إليه رياسة التدريس والتحقيق مربّي العلماء العظام وقطب الفضلاء الفخام شيخنا وأستاذنا المولى محمد كاظم

ـ[154]ـ

الخراساني النجفي عن العَلَم العلاّم والبحر القمقام صاحب المقامات الفاخرة والكرامات الباهرة السيّد مهدي القزويني الحلاّوي عن عمّه السيّد السَّند النَّبيل العلاّمة الباهر السيّد محمد باقر القزويني الحلاّوي عن شيخه الفقيه الأكبر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء عن شيخيه المروّجين للمذهب الآقا محمد باقر البهبهاني وبحر العلوم السيّد محمد مهدي الطباطبائي عن المولى الأفضل محمد أكمل بجميع أسانيده المتصلة إلى المعصومين. وأوصيه دام مجده بما أوصيت به من التمسك بذيل الاحتياط فإنه سبيل النجاة، والتحرز عن الفتياء بغير علم، وأوصيه بالتقوى وملازمة الطاعات والتورع عن الشبهات والتأدب بمحاسن الآداب والتخلق بفضائل الأخلاق ومجاهدة النفس وترك الهوى والزهد عن الدُّنيا والتّدبُّر في آيات الله ففي ذلك جماع الخير وأسأله دام توفيقه أن لا ينساني من صالح الدّعاء ولاسيما في مظانّ استجابتها.

كتب ذلك أحوج المربوبين وأرجاهم إلى الله رب العالمين السيّد أبو القاسم الدّهكُردي الإصفهاني ثُمّ النجفي إن شاء الله تعالى في الليلة المباركة ليلة الرّغائب من شهر رجب المرجب من شهور سنة 1320

عشرين وثلثمائة بعد الألف الهجرية على هاجرها آلاف التحية والحمدُ لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

أبو القاسم الحسيني

ـ[155]ـ

إجـازة الأستاذ الأكبر آية الله العظمى الشيخ محمّد كاظم الخراساني عام 1328هـ لتلميذه سيدنا الأستاذ

آية الله البروجردي رحمة الله عليهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلم وسيلةً إلى جنّته وذريعة يرتقى بهاجوار قُربه ورحمته وأبان عن علُوّ شأنه و منزلته وسُموّ مكان حامليه وسَدَنَته، والصّلوة والسّلام على أفضل الأنبياء من بريّته وأشرف السُّفراء إلى خليقته محمّد الصّادع بالقويمة من دينه وشريعته وعلى الطّاهرين المعصُومين من آله وذرّيته الباذلين مُهجهُم في إعلاء كلمته، وبعدُ فلمّا كان العلمُ جلاءً للقُلوب من صدأ الجهالة ونجاةً للنُّفُوس من العَمى والضلالة ونوراً يهتدى به إلى عوالي اللئالي، و يُوصلُ به عامة المكارم والمعالي وقد أشير إلى عظيم خطره بقوله تعالى إنّما يخشى اللهَ من عباده العُلماءُ وبقوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وقوله مدادُهُمْ افضلُ من دماء الشهداء وغيرها مما هو مأثُور وعدُّهُ غير ميسور فلذلك صرف في كل عصر من الأعصار جماعة من أرباب الهمم العالية والبصائر السّامية والأذهان النقّادة والفطن الوقّادة أعمارهم في تحصيله وبذلوا مساعيهم في البحث عن إجماله وتفصيله وعكفوا

ـ[156]ـ

هممهم على إحياء أعلامه ومراسمه واتعبوا أنفسهم في إيضاح طُرُقه ومراسمه فشكر الله مساعيهم الجميلة ومُجاهداتهم البليغة. ومنهم السيّد السّند والعدلُ المعتمد المحقق المدقق، العارفُ بشرائع الإسلام والخبير بقواعد الأحكام مُروّج الأحكام ثقةُ الإسلام، عُمدةُ العلماء العاملين وقُدوةُ الفقهاء والمجتهدين قُرّة عيني المتُحلّي بكلّ زين الآقا حسين الطّباطبائي

البُروجردي دامت فضائلُهُ فإنّهُ قد تشرّف سنين كثيرة في قُبة الإسلام المشهد الغروي على مشرّفه أفضلُ صلوة وتحية وقد بذل مُجاهدات بليغة ومساعي جميلة مقروناً بالتّوفيقات الخاصّة الإلهية في تحصيل العُلوم الشّرعية العقلية والنقلية واستفاد في محضري جلّ المسائل الأصوليّة وعمد المسائل الفرعية غير مكتف بالسّماع عن التّحقيق وبالنّظر عن التّحديق بل أمعن النظر في المباني حقّ الإمعان وأتقن الدّلائل غاية الإتقان حتى فاق الأفاضل العظام والأماجد الأعلام وصار ذا الملكة القُدسيّة وبلغ من حضيض التّقليد إلى اوج الاجتهاد المطلق فلهُ كل المناصب الثّابتة للمجتهد المطلق من الإفتاء والقضاء وغيرهما، ويجبُ على النّاس اتّباع حكمه، ويَحرم عليهم ردّه ونقضُهُ فانّهُ استخفاف بحكم الله تعالى على ما هو مقتضى قول أبي عبد الله الصّادق ـ عليه السّلام ـ في مقبولة عمر بن حنظلة حيثُ قال: انظُرُوا إلى رجل منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإنّي قد جعلتُهُ عليكم حاكماً، فإذا حكم بحُكمنا فلم يقبل فإنّما بحكم الله استخف وعلينا قد ردّ، والرّادُ علينا الرّاد على الله وهُو في حدّ الشّرك بالله.

ـ[157]ـ

وله أن يروي عنّي كُلّما تصحّ لي روايته عن مشايخي بالطّرق المتّصلة المنتهية إلى المعصومين صلواتُ الله عليهم أجمعين وأوصيه بما أوصى به أسلافي من الأخذ بالاحتياط والوقوف عند الشّبهات وأن لا ينساني دعاء الخير في الخلوات . . والسّلام على من اتّبع الهُدى. حرّرهُ العبد الأحقر الجاني محمّد كاظم الخراساني في 1328 من الهجرة النّبوية.

ـ[158]ـ

إجازة آية الله العظمى شيخ الشريعة الإصفهاني

عـام 1328 هـ للسيّد الأستاذ آية الله

البروجردي رضوان الله عليهما

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله على عميم آلائه وجزيل نعمائه وله الشّكر ملأ أرضه وسمائه، والصّلوةُ والسّلامُ على أفضل سفرائه وأشرف أنبيائه محمّد الهادي إلى سبيل الرُّشد وسوائه والجالي ظُلَم الشّكّ والجهل بنوره وضيائه وعلى المعصُومين من عترته وخلفائه وذرّيّته وأوصيائه الباذلين نفوسهم في إعلان الشّرع وإعلائه. وبعد فإنّ العالم المحقّق والفاضل المُدقّق، البحر المتدفّق والنّور المتألّق عمدة العُلماء الأعلام وزبدة الفُقهاء العظام، العلم العليم النحرير والحبر البحر النزير النّظير، نور حدقة السعادة، ونور حديقة السّيادة، الورع الثّقة العدل المتحلّي بكلّ زين جناب الآقا حُسين البروجردي الطّباطبائي دامت فضائلُهُ ابن الجليل النبيل الأصيل الآقا علي حفيد أخي العلاّمة الطّباطبائي ممّن نفر عن وطنه وهاجر عن مسكنه وفارق الأقران والأتراب وافتقد غارب الاغتراب إلى أن انتهى إلى جوار باب مدينة علم الرّسول واستمدّ بَعد بركات جواره بأنفاس العلماء الفحول، وكان مع ما فيه من الذّهن الوقّاد والفهم النقّاد مكبّاً على التّحصيل مُجدّاً في التكميل حريصاً على زيادة

ما احتواه من العلوم والمعالي واصلاً يقظة الأيّام بإحياء اللّيالي لا يكتفي من السماع الاّ بالتّحقيق ومن النّظر الاّ بالتّحديق حتّى فاز بغاية المأمول ونهاية المرام وترقّى من حضيض التّقليد إلى أوج الاجتهاد والاستنباط في الأحكام وبرز منهُ من التّصنيف والتأليف ما يغني عن التّصريح بمقامه الشّامخ المنيف.

ثمّ إنّهُ لحُسن ظنّه بهذا الضعيف وحُبّه للتأسّي بالسّالفين من سدنة الشّرع الشّريف استجاز منّي رواية ما صحّت لي روايته فأجزت له أيّده الله أن يروي عنّي كلّما صحّت لي روايته من الكتُب الدّينية والصُحُف العلميّة سيّما نهج البلاغة والصّحيفة السّجادية والكتب الأربعة لأبي جعفرين المحمّدين الثّلاثة الّتي كان عليها المدارُ في الأعصار والأمصار أعني الكافي والفقيه والتّهذيب والاستبصار والجوامع الثّلاثة المتأخّرة التي بلغت في الوضوح والاشتهار حدّ الشّمس في رابعة النّهار أعني الوافي والوسائل وبحار الأنوار وطرقي إليها كثيرة وفيرة لا أقدر الآن على استقصائها أكتفي بشطر يسير منها فمنها ما أرويه عن العلاّمة النّحرير والبدل الأوحد النزير النظير محقّق المعقول والمنقول والمصنّف في الفروع والأصول السيّد مهدي القزويني أصلاً والحلّي انتساباً النّجفي موطناً ومدفناً، عن عمه العلاّمة السيّد باقر القزويني، عن خاله سيّد الفقهاء والمجتهدين آية الله في العالمين العلاّمة الطّباطبائي بحر العلوم، عن مشايخه العظماء الأجلاّء المشار إلى شطر من ألقابهم في إجازاته المتكرّرة المشهورة، منهم العلاّمة الوحيد المجدّد الآغا محمّد باقر الإصبهاني الشّهير بالبهبهاني،

عن والده الأفضل الأمثل الأجل المولى أكمل، عن جماعة من الأكابر الأعاظم كالعلاّمة الشّيرواني والعلاّمة جمال الدّين الخونساري، والعلاّمة المجلسي جميعاً، عن الفقيه النّبيه المحدّث الوجيه المولى محمّد تقي المجلسي عن أعجوبة البشر شيخنا البهائي زاد الله في بهائه، عن والده الفقيه الأجل الشّيخ حسين العاملي، عن خاتمة الفقهاء والمجتهدين شيخنا الشّيخ زين الدّين الشّهيد الثاني بجميع طرقه المذكورة في إجازته المبسوطة والمسطور بعضها في فاتحة معالم الأصول.

ومنهم الفقيه النّبيه المحقّق المدقّق المحدّث البحراني صاحب الحدائق النّاضرة وعدّها من المصنّفات الفاخرة المتكاثرة بجميع طرقه المذكورة في اللّؤلؤة.

ومنها ما أرويه عن المحقّق المدقّق الفقيه النبيه البدل الزّاهد العابد الشيخ محمّد حسين الكاظمي اصلاً النّجفي موطناً ومدفناً صاحب هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام في سبع وعشرين مجلّدات ضخام عن جماعة: أحدهم الفقيه النّبيه العلاّمة الماهر الباهر ومن ثبتت منّته على جميع الأواخر الشّيخ محمّد حسن صاحب الجواهر عن شيخيه العلمين العلاّمتين الفقيهين كاشف الغطاء وصاحب مفتاح الكرامة عن الوحيد المجدّد البهبهاني. وثانيهم الإمام العلامة الفهّامة الرّئيس موطّد أساس الفقه والأصول على أحسن تأسيس والملقى إليه زمامهما بالإلقاء والإملاء والتّصنيف والتّدريس أستاذ الأعاظم المتأخّرين الشيخ مرتضى الدزفولي الأنصاري، عن شيخه المحقّق المدقّق البحر المتدفّق العلاّمة الأفضل الأجلّ المتراقي في نفائس العلوم إلى أعلى المراقي

الحاج المولى أحمد النّراقي، عن مشايخه الأجلاّء العظماء كوالده العلاّمة والعلاّمة الطّباطبائي والعلاّمة الحائري صاحب الرّياض وفقيه عصره كاشف الغطاء والفقيه النّبيه السيّد محمّد مهدي الشهرستاني جميعاً عن الوحيد المجدّد البهبهاني. وثالثهم الفقيه الوجيه المحقّق الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة عن أخويه العلاّمتين الفقيهين الشّيخ موسى والشّيخ علي عن أبيهما كاشف الغطاء.

ومنها ما أرويه عن الفقيه النّبيه المحدّث الوجيه المتتبّع المطّلع على نفائس الفنون الآغا الميرزا محمّد باقر الموسوي الخونساري الإصبهاني صاحب روضات الجنّات، عن جماعة أشهرهم وأجلّهم حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيّد محمّد باقر الجيلاني الإصبهاني صاحب مطالع الأنوار وتحفة الأبرار وغيرهما، عن صاحب الرّياض وكاشف الغطاء، عن الوحيد المجدّد.

وبما ذكر من الطّرق يمكن الاتّصال بجلّ الكتب والمصنّفات من أصحابنا وغيرهم، في التّفسير والحديث والفقه والأصول والرجال والكلام والعربية واللغة والتّاريخ وغيرها، وأُوصي جناب المستجيز بصرف بقيّة عمره الشّريف في التصنيف والتأليف وترويج الدّين الحنيف وإغاثة الملهوف والضّعيف والاهتمام في رفعة بدع المبدعين وإزالة شبهات المدلّسين والملحدين وتقوية عقائد المؤمنين وأرجو أن لا ينساني من الدّعوات الصّالحات في حياتي وبعد الممات.

حرّره الجاني فتح الله الغروي الشّيرازي الإصبهاني المشتهر بشيخ الشريعة عفى الله عن جرائمه الفظيعة في ليلة غرّة ربيع الثّاني من شهور سنة 1328 من الهجرة المقدّسة.

ـ[162]ـ

ـ[163]ـ

الوثائـق

الوثائــق

ـ[164]ـ

ـ[165]ـ

الوثيقة رقم 1

ـ[166]ـ

الوثيقة رقم 2

ـ[167]ـ

الوثيقة رقم 3

ـ[168]ـ

الوثيقة رقم 4

ـ[169]ـ

الوثيقة رقم 5

ـ[170]ـ

الوثيقة رقم 6

ـ[171]ـ

الوثيقة رقم 7

ـ[172]ـ

الوثيقة رقم 8

ـ[173]ـ

الوثيقة رقم 9

_[174]_

الوثيقة رقم 10

_[175]_

الوثيقة رقم 11

_[176]_

الوثيقة رقم 12

_[177]_

الوثيقة رقم 13

_[178]_

الوثيقة رقم 14

ـ[179]ـ

الوثيقة رقم 15

ـ[180]ـ

ـ[181]ـ

الخاتمـة

الخاتمة:

الإمـام البروجـردي والتقـريب

بين المـذاهب الإسـلامية

ـ[182]ـ

ـ[183]ـ

ليس «التقريب» وسيلة لتحقيق هدف.. بل إنه هو الهدف. لانّه لابد من وجود «الأمة الواحدة» لكي تتحقق «عبودية رب العالمين» على ظهر الأرض: (إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون).

لا نريد أن نقف عند هذه المسألة الهامّة، بل أشرنا إليها لنمهّد لحديثنا عن بعض نشاطات التقريب لدى أستاذنا الفقيد آية الله العظمى الإمام البروجردي لنقدّم بذلك من تاريخنا الحديث مثالا على مساعي علمائنا في حقل التقريب، ولنُبعِّد ماقد يتبادر إلى الأذهان من أن التقريب وسيلة لتحقيق هدف سياسي مرحلي.

الإمام البروجردي ـ عَلَمٌ ـ من أعلام الفقه، وأستاذ كان يحضر درسه جمع كثير من المجتهدين، والمهم أنه كان صاحب طريقة خاصة في الاستنباط والاستدلال لها علاقة هامّة بالتقريب.

من ذلك أنه كان يعتقد بأن الرجوع إلى فتاوى علماء أهل السنة

يسهّل السبيل لفهم روايات أهل البيت(ع)، لأن هذه الروايات صدرت غالبا تعليقا على الفتاوى الرسمية الرائجة آنذاك. وكان السائل يأتي الإمام فيذكر الفتوى الرائجة من علماء أهل السنة ويسأله عن رأيه فيها، والإمام يجيب.

وكان يرى أن الرجوع إلى فتاوى علماء السنة على مرّ التاريخ هو مقدمة الاجتهاد عند الشيعة.

والمهم أنه كان يؤكّد مراراً أن هذه الطريقة هي سنّة علماء السلف من فقهاء الشيعة الإمامية، فالقدماء كانوا يهتمون بمقارنة فتاوى أهل السنّة والشيعة، وخلّفوا لنا في هذا المجال كتبا هامّة سمّيت بمسائل الخلاف. واهتم الإمام البروجردي بهذه الكتب، وحرص على التعليق على كتاب الخلاف للشيخ الطوسي (385 ـ 460 هـ) وطبعه لأوّل مرّة. وظلّت هذه السُنّة الحسنة بعده رائجة في الحوزة العلمية، متمثّلة بدراسات الفقه المُقارَن.

والظاهرة الثانية في مدرسته الفقهية، أنه كان يفصل بين الظاهرة الأموية وظاهرة أهل السنّة في التاريخ، إنّ سَعي بعض الأمويين لتحريف أحكام الإسلام دفع ببعض العلماء لأن يعتقد بأن الأحكام الموجودة لدى أهل السنّة قد حُرّفت عمدا من قبل علماء السلطة، ولكنه كان لا ينظرفقه أهل السنّة بهذا المنظار المتشائم، بل كان يجهد لاستبيان علّة الاختلاف في الفتوى. على سبيل المثال حين يتناول مسألة الصلاة في أول وقتها، يطرح رأي أهل السنّة القائل بعدم جواز

ـ[185]ـ

التأخير بدون عذر، وأن التأخير بدون عذر ذنب (وهو أحد القولين المشهورين لدى الشيعة الإمامية)، حتى أن بعض أهل السنّة يرى أن تأخير الصلاة عن أوّل وقتها يستدعي أداءها قضاء. وأمام هذه الآراء كان السيد الأستاذ يقول: إنّ فتوى أهل السنّة مستنبطة من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، إذ كان يؤدي الصلاة دائما في أول وقتها. لكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) فعل ذلك لأنه كان يؤمّ المسلمين في جماعتهم. والتزام النبيّ بالصلاة في أوّل وقتها باعتبار إمامته في الصلاة، ولكنّه أخّرها أحياناً في غير عذر كما جاء في الأحاديث، ومن هنا جاز في مدرسة أهل البيت تأخير الصلاة عن أول وقتها بإرشاد من أئمتهم عليهم السلام، مع التأكيد ـ حتى عند أئمة أهل البيت ـ على أدائها في أول وقتها، وكانت سنّة مستمرة عندهم ولاتزال قائمة في مدرستهم. لكن التأخير لا يوجب القضاء عندهم.

بهذا الأسلوب كان يتعامل السيد الأستاذ مع مسائل الخلاف، ويحاول أن يجد المبرر الموضوعي لها.

إضافة إلى أسلوبه الفقهي التقريبي، كانت للسيد البروجردي مساع عملية للتقريب أتذكّر قوله يوما في أحد دروسه: «أمر التقريب ـ والحمد لله ـ في تقدم، وأشكر الله أن كان لي سهم فيه».

وفهمنا بعد ذلك أن استبشار السيد في تقدم أمر التقريب كان نتيجة رسائل وصلته من شيوخ الأزهر الشريف في هذا المجال وإجابته عليها.

ـ[186]ـ

كتب إليه المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر حين ذاك مرة يقول:

«أُثمّن جهودكم، وأسال الله القادر العليم أن يحقق آمالكم الإسلامية... وبُشراكم فإن خطواتكم على طريق التقريب كانت مدعاة للصلاح والسير نحو الله».

كما كتب إليه المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم ـ وكان شيخاً للأزهر قبل الشيخ محمود شلتوت ـ رسالة في مرضه وأجابه السيد عليها.

كان السيد الأستاذ يعقد الأمل الكبير على «دار التقريب» في القاهرة، ويرعى أمينها الشيخ محمد تقي القمي.

وحين كنت أراجع الإمام البروجردي في بيته إكمالا لمشروع «جامع أحاديث الشيعة» رأيت الشيخ القمي مرارا في بيته منتظرا لقاءه.

ومن الظواهر الهامة في نشاط السيد البروجردي على الصعيد العلمي تغيير مسير الحوار بين أهل السنّة والشيعة، نحو ما يمكن أن يتّفقوا عليه، وإبعاد الحوار عن المسار الذي لايمكن أن يتّفقوا عليه..

على سبيل المثال ما رأيت السيّد الأستاذ يطرح مسألة «الخلافة» على الإطلاق في جلساته العامة والخاصة، في الدرس وفي خارج الدرس. بل سمعته في جلساته الخاصة يقول: «مسألة الخلافة لا جدوى فيها اليوم لحال المسلمين، ولا داعي لإثارتها وإثارة النزاع حولها. ما الفائدة للمسلمين اليوم أن نطرح مسألة من هو الخليفة الأول؟ إنما المفيد

لحال المسلمين اليوم هو أن نعرف المصادر التي يجب أن نأخذ منها أحكام ديننا».

من هنا كان السيد يؤكد على حديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً: كتاب الله وعترتي. وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»(1).

ولا يكاد يمر شهر على دروسه دون أن يذكر في مناسبة هذا الحديث. وكان هذا أسلوب السيد المرحوم عبد الحسين شرف الدين أيضا. فقد كان يؤكد في حواره مع شيخ الأزهر الفقيد الشيخ سليم البشري أن دليلنا على أخذ السنة من طريق أهل البيت هو حديث الثقلين.

وسمعت أن السيد البروجردي أهدى شيخ الأزهر الراحل عبد المجيد سليم كتاب «المبسوط» للشيخ الطوسي، وكان لهذا الكتاب أثر كبير على الشيخ عبد المجيد، ورُوي عنه في أواخر حياته قوله:

«سواء حين كنت مفتيا لمصر، أو حين أصبحت بعد ذلك عضوا في لجنة إفتاء الأزهر، متى ما تصدّيت لمعالجة مسألة للإفتاء كنت أراجع كتاب المبسوط». وكان هذا الشيخ المبجّل من مؤسسي «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» وعضوا لجماعة التقريب.

1- جمع أحد علماء قم كل أسانيد هذا الحديث مشيراً إلى اختلاف جاء في متنه في كتاب نشرته «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» في القاهرة

وأعاد طبعه «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية»، وقدمت للموضوع مقدمة وافية نشرت في مجلة «رسالة التقريب» العدد5.

ـ[188]ـ

وكان السيد الأستاذ يتحدّث عن شيوخ الأزهر ويتحدّث عن الشيخ محمد عبده وغيرهم من علماء أهل السنّة بتقدير وإجلال، كما أنه كان يراجع دائما كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد الأندلسي باعتباره من أحسن الكتب في الفقه المُقارَن. وطالما رأيت الكتاب مفتوحاً أمامه على منضدته. وتَعرَّف طلابه على هذا الكتاب عن طريقه(1).

وهذه هي خصائص المدرسة الإسلامية الأصيلة في التعامل العلمي بين العلماء، والحوار بين المذاهب. والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية يستهدف أن يواصل جهود السلف الصالح من العلماء في إحلال التفاهم وإبعاد التناحر والتباغض، فتلك ضرورة لابد منها لعودة «الأمة الواحدة» وما ذلك على الله سبحانه وتعالى بعزيز.

1- لنا مقال حول هذا الكتاب بعنوان «ابن رشد، الفقيه المالكي والفقه المقارن» ألقيناه في ندوة ابن رشد في الكويت ونشر في «رسالة التقريب» العدد8. وفي مقدمة كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» الذي قام مركز الدراسات العلمية التابع لمجمع التقريب بتحقيقه ونشره مع تعليقات قيمة في تعريف مذهب أهل البيت.